د. محمد كشّاش

الحُبُّ والإعرابُ

دراسة موازنة بين نحو الجنان ونحو اللّسان

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الحب والأعراب

الحُبُّ والإعرابُ

دِراسَةٌ مُوازَنَةٌ
بَيْنَ نَحْوِ الجَنانِ وَنَحْوِ اللِّسانِ

د. محمَّد كشّاش

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية   المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ١١/٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥

صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧

الإهداء

الشمس تشرقُ من وجنتيكِ
والقمرُ يضيء من عينيكِ
والحركة تندفع من ثناياكِ
أنتِ الأمل ولا يخيب رجاكِ
يا أحلى مَنْ في الدنيا! وهي رهن يديكِ
أقدّم الحبّ والإعراب لأعرب عن حبي لكِ
وأشهد الملأ على عرفاني بفضلكِ
يا أمي كل ما في حياتي منك وإليكِ
فهَلْ، يا تُرَى، أفِيكِ حَقَّكِ؟!
لا، ولن أستطيع... أطلب رضاك
لجليل تضحياتك... وسمّو عطائك

ولدك محمد

ولِـلْـحـبِّ آيـاتٌ إذا هـي صَـرّحـتْ
تَـبَـدّت عـلامـاتٌ لـهـا غُـرَرٌ صُـفْـرُ
فـبـاطِـنُـهُ سُـقْـمٌ وظـاهـرهُ جَـوًى
وأوّلُـهُ ذِكْـرٌ وآخِـرُهُ فِـكْـرُ

* * *

ما عالجَ الناسُ مِثْلَ الحُبِّ منْ سَقَمٍ
ولا بَـرَى مـثـلـه عـظـماً ولا جَـسَـدا
ما يَلْبَثُ الحُبُّ أنْ تبدو شواهدُهُ
مـن الـمُـحِـبِّ وإنْ لـمْ يُـبْـدِهِ أَبَـدا

ـ الأحوص الأنصاري ـ

المقدمة

الحبُّ عاطفة إنسانية وشعور سام عرفه الإنسان يوم بزغ فجر الحياة، ووجد نفسه مع الأنثى قسيمته فيها. والحياة لا تكتمل، ويصبح لها مذاق إلا باجتماع عناصرها: ذكر وأنثى، ومن دونهما تتلاشى وتضمحل وتبور. وبفقدان أحد عناصر مجموعة الحياة يختل توازنها وتصبح كإنسان أشلّ أو أعور... يعتريه الهزال ويلحقه النقص؛ لأن اتصاله بالحياة أصبح أحادياً. وربما كان من اكتمال الحياة تزاوج عناصرها. وتوخياً للغرض جعل الله للإنسان أذنين ويدين وعينين... ومن كل أداة اثنين... ونتيجة لذلك برز الزوجان الذكر والأنثى، يجمعهما فعل واحد هو الحبّ.

وفي المقابل، لا تكتمل إنسانيته إلا عبر اتصاله بغيره، ورباطه بالآخرين... وفيها يكتسب صفته الاجتماعية، التي هي من الجمع والتزاوج، لا من الخلف والتنافر. وَمَنْ أوفى من اللغة القيام بمهمة الاتصال والتواصل، ومن دونها لا يحصل اجتماع وتآلف. وقد تَزَامَنَ وجود اللغة مع وجود الإنسان ـ بغض النظر عن حقيقة اللغة وكيفيتها ـ إذ ليس من المعقول أن نتصور مجتمعاً من دون لغة. ومن غير اليقين وجود أي جماعة إنسانية على سطح الأرض ـ مهما قلّ حظها من الحضارة والمدنية ـ من دون لغة تتفاهم وتتبادل الأفكار بها.

ووجود اللغة يوازي تقريباً وجود الإنسان، أو ربما سارا تزامنياً معاً في النشأة والتكوين والغاية. وليكون للحياة طعم دخلها الحب، مثله في ذلك مثل الإعراب الذي دخل الكلام ليقيم أوده ويجعل له طعماً. من زاوية اللزوم والمنطلق والغاية يتراءى في لجج النحو خيطاً سحيلاً في النظر، غليظاً في الفكر يربط الإعراب بالحب. وهي زاوية تغري بالدرس وتدفع إلى التنقيب والبحث.

أشرق في ذهني ارتباط الحب بالإعراب. أخذت أتامل مجدداً، والفكرة تعتمر في نفسي، وتجول في خاطري، تدفعني إلى الغوص في أعماق الإعراب، وركب لجج الحبّ، عَلّي أريح نفسي وقد قدّت الفكرة مضاجعي من

جهة، تغريني الظفر بطائل من دفائن النحو، وحفائر الحب من جهة ثانية.

برزت دوافع الدراسة جلية عبر مفصلين. الأول نبش مستودعات الضمائر والحصول على خمائر لم يسبق - على الأرجح - إليها توسم بالابتكار؛ لأن أرض «الحب والإعراب» لما تزل بكراً، لم تستشرب آبارها، ولم تستنبت تربتها. والثاني الطرافة القائمة بين ربط قضية فكرية تتمثل في علم النحو وأحكام الإعراب، بأخرى عاطفية إنسانية اجتماعية يعيشها الإنسان في حالات الوجد... باحثاً عن أخرى يرتاح بفيئها، ويُسَرّ بالنظر إليها، فتبدد الهموم، وتمسح عن الوجه الوجوم، وتشفي الجسوم من الكلوم.

وصلت إلى قناعة فكرية هي ارتباط «النحو بالحب». أخذت أعيد الكرّة وأقرأ الفكرة لأصل إلى اسم لمولود المشروع المتمثل في الدراسة. ترددت في البداية بين عناوين عدة، منها: «اللغة والحب»، و «النحو والحب». وأخيراً توصلت إلى «الحب والإعراب»؛ فكان عنوان الدراسة الأدق والأشمل. قدّمت الحب على الإعراب؛ لأن الإعراب علم من العلوم، وهي كلها يوضع في مبادىء أمرها شيء يسير، ثم يزداد بالتدرج إلى أن يستكمل آخراً. هذا من جهة، والعلوم تتأخر عن اللغة، فيكون الكلام سابقاً الأحكام والأعراب من جهة أخرى. والأمور والأشياء مراتب في التقديم والتأخير، وهي تخضع تبعاً لمعايير إما التفاضل أو الاستحقاق أو الطبع، أو على حسب ما يوجبه المعقول. ونزولاً عند هذا الأصل قدمت الحب على الإعراب، كسباً للمنطق وحصولاً على تراتبية يمليها الاستحقاق. جعلت لاسم الكتاب عنواناً فرعياً يوضح المقصد، ويوحي بالغرض، وهو: «دراسة موازنة بين نَحْو الجَنَان ونَحْو اللسان»؛ لأن النحو يدخل المكتوب والملفوظ، ولم يكن قولنا «نحو اللسان» قاصراً على الملفوظ، بل قصدنا اللفظ والخط؛ لأن المكتوب يطلق عليه اسم الكلام، يقولون: «إقرأ كلام الله»، وقولهم: «القلم أحد اللسانين». وبذلك بات العنوان واضحاً جلياً.

عدت مجدداً إلى التفكير في جوانب الموضوع وأركان هيكله وأعمدة بنائه، بغية رسم فصوله. وضعت نصب عيني مبدأ مفاده أن عنوان الكتاب الرصين ينبىء عما في ضمنه، ورائد لمن رام أن يطلع قبل تَصَفُّحِه على حُسْنه. عندها قمت ببناء مخطط الكتاب، هاجسي أن تحيط الفصول بالعنوان إحاطة تامة كإحاطة السوار بالمعصم.

جاءت الدراسة مقسمة خمسة أركان (فصول). حمل الفصل الأول عنوان

«مبادىء الإعراب وأصول الحب». بحثت فيه عن مبادىء النحو العربي وقواعده التي انعكست على صفحة الحب، واتخذت أصلاً للوصال والاتصال. اخترت مسائل نحوية متنوعة، استند إليها المحبون، لتسويغ حبهم، وتبرير سلوكهم. . . . وتحاشياً للتنظير وما فيه من جفوة، عمدت إلى الشواهد والأمثلة المقتلعة من الواقع، فأذهبت جفوة التنظير بحلاوة التطبيق، ومتعة التنقل مما يجلب للمطالع والدارس إنتعاش الحب وبسمة الأمل ولذة الاكتشاف، حسبي قول الشاعر: [من البسيط]

لَنْ يُصْلِحَ النَّفْسَ إنْ كانت مُدَبَّرةً   إلا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إلى حَالِ

بعد سرد الوقائع عمدت إلى أدلة منطقية؛ ليرتفع ما نحكيه من البهتان، وليشهد له بالصواب البيان.

ثم كان الفصل الثاني احديث عن «علامات إعراب الحب». أتيت فيه على ذكر علامات الإعراب الأصلية والفرعية، ثم ذكرت سبب دخولها الكلام، انتهاءً إلى علامات الحب المتعددة من فرعية وأصلية، ظاهرة ومقدرة. منها هزال الجسم وتغير اللون واعتقال اللسان وذرف الدموع وحركة العين. . . . وعلامات الحب من أصلية وفرعية، ظاهرة ومقدّرة ما هي إلا صدى لضربات القلب وخفقان الفؤاد في ساعات الحب والوداد. . . مستنداً في خلالها إلى الدليل القويم الذي جاء بعد العيان ليكون الحجة والبرهان. خلصت بعدها إلى توصية تنبّه على ضرورة الأخذ بعلامات الإعراب في إثبات حبّ امرىء لأخرى، وعشق واحد لأنثى. . . أكثر من الاعتماد على لسان القول؛ لأن الأولى طبيعية من سماتها الصدق والأمانة، والثاني إرادي قد يعلوه الزيغ والخيانة. ولم أنسَ الحديث عن «البناء» وهو لزوم حالة إعرابية واحدة، تقابل الإنسان الذي يلزم حبيبة ثابتة لا يبارحها إلى سواها؛ فتستقر ضربات قلبه، ويسير على وتيرة واحدة نبضة. يعزز ما نراه اشتمال مادة [بناء] على معنى «الدخول بالزوجة»، وثباته عليها، وهو ظاهر في قولهم أيضاً: «بنى فلان عليه بيتاً إذا أعرس».

والحب لا يكتمل إلا بعنصريه الذكر والأنثى. واستناداً إلى هذه الإحداثية أملى المنطق، الحديث عن الذكر والأنثى في أحكام اللغة. جعلت الفصل الثالث للكلام على الذكر في قواعد اللغة العربية وأحكام الإعراب. تناولت بالاستقراء والتمثيل مسائل عديدة، لأكشف فيها عن الذكر ومقامه ورتبته. . . توصلت إلى أنه غلب شريكته الأنثى في غير مسألة، وتقدم عليها في أكثر من حكم، وبخاصة إذا اجتمعا في مقام نحوي واحد. من المسائل التي أثبتها قضية المرتبات «التقديم والتأخير»،

و «العدد والمعدود»، وقانون «التثنية». . . فيها كتبت الغلبة للذكر. وحتى يكون مع الكلام دليل ذيلت الظواهر المستقرأة والأحكام التي قامت على الغلبة. . . بأدلة وثوابت تصدق ما نذكره. ثم ختمت الفصل بالإشارة إلى أن أحكام اللغة مرآة للمجتمع، وصورة تنعكس على صفحتها مفاهيمه وقضاياه. . . .

واستكمالاً لعناصر الحب، وتساوياً للذكر بالأنثى في ميدان الدرس ورفع الحجب، عقدت الفصل الرابع لبحث أحكام ورتبة «الأنثى في قواعد اللغة العربية». توخيت نموذجاً يوضح ما نطرحه ويكون تطبيقاً للمبادىء المرسومة والمحصلة من البحث. وهو قضية جمع الأسماء العجمية في اللهجة الشعبية جمع مؤنث سالماً. أبرزت خلالها علّة جمع الأسماء العجمية المذكرة منها والمؤنثة جمع مؤنث سالماً. وهي تقع في محصلة المعادلة الرياضية التالية. العجمي فرع على العربي، والأنثى فرع على الذكر، فلما تساوى الفرع مع الفرع جمعت بهذا الجمع. وتوضحها المعادلة البيانية:

العجمي ——فرع——> العربي

الأنثى ——فرع——> الذكر

الفرع = الفرع ====> العجمي ——يجمع على——> الأنثى

وبحل الإشكالية يتوضح ويقوى ما جاء في الفصل الثالث القائل بغلبة الذكر الأنثى في أحكام الإعراب. وبذلك يوسم البحث بالحداثة والمعاصرة، نظراً لتوضيح قضية لغوية يتعاطاها اللسان مع مبتكرات الصناعة وثمرات التكنولوجية. . . كلها تحمل الأسماء الأعجمية التي تغزونا كل يوم بالعشرات. . . وبجلاء خوافي مشكلة جمع الأسماء العجمية، أرجو أن يجمع الكتاب أصالة المحتد وسمة التجدد، فيكون ـ على الراجح ـ أصيلاً حيًا، يعيش الحاضر على ثوابت الماضي، ويستنير بضوء المستقبل؛ فتكتب له الحياة، ويجني ثمار الاستمرار.

ويتجلى الحب ـ أحياناً ـ بالزواج عبر أقنية شرعية وأصول اجتماعية؛ فيزداد المجتمع بولادات الآباء، ويحافظ على النوع بما يخلفان بعدهما من أبناء. ونزولاً عند ترابط الحب بالإعراب، بات من الواجب الذي يقتضيه التفكير السليم والمنهج القويم الحديث عن الزواج اللغوي وتكاثر المواد عبر أقنية الجنس. برز الفصل الخامس الذي دارت رحاه حول الكلام على

أصول اللغة وتوالد الألفاظ وازديادها عبر خضوعها لنواميس الحب، وشرعية الزواج. فبات العلماء اللغويون يميزون بين المواد اللغوية ـ بأعتبار أصالتها ـ من دخيلة وعربية ومعربة... كما يميزون بين الأبناء، من شرعي أصيل أو لقيط دخيل... ثم كانت القرابة اللغوية بين عائلات المجتمع اللغوي، كالقرابة بين ألفاظ الإيلام والترويع، والإثارة والتهيّج والاحتقار والجفوة... وهي كلها ترتبط بصلة جنسية فيما بينها.

ولما كانت اللغة تفترق بأعتبار الجنس، وتلتئم بمقياسه، اقتضى الأمر الحديث عن لغة المرأة، وسمات كلامها وموضوعه... ذيلت الفصل بما يقوي فرضيتنا عن طريق استعراض نماذج من المصطلحات اللغوية والنحوية، وما يختزنان في تضاعيفهما من أصول جنسية. وبذلك أدعو متمنياً أن أكون قد أتيت على تفاصيل الحب والإعراب، وما يمت بصلة إليهما، ويرتبط بخيط فيهما.

وموضوع «الحب والإعراب» متعدد الوجهات، تتداخل فيه الاتجاهات، من نفسية واجتماعية... فضلاً على العلمية التي تنعكس في أصول علم النحو، إلى غيرها من المجاري الثقافية التي ترفده. واستناداً إلى الإحداثيات الفكرية المعرفية المتقدمة، أضحى من اليقين الإتكاء على غير منهج في غضون المعالجة. والمنهج في حقيقته فن تنظيم سلسلة الأفكار، بغية الكشف عن جوهر الحقيقة. ونزولاً عند تعدد مناحي الدراسة، اقتضى ظهور مناهج متعددة أخذت بأهدابها، واتبعت طريقها.

إستندت إلى منهج الإستدلال في أثناء السير من مبادىء النحو الثابتة المعروفة إلى النتائج التي تضمنتها قضايا الحب؛ من أجل وصول الحبيب إلى سُدّه ما يبتغي، بشفافية بعيدة عن سخافة المنطق ودناءة التعبير، مترفعاً في إثنائه عما تنبو عنه الطباع إلى ما تقبله الأسماع.

ثم كان منهج الاستقراء وأنا أسبر أغوار العلاقات المعقدة، والأحوال المتشابكة، تشابك الإنسان في صراعه مع الموجودات. وهو منهج لا يقوى منهج الاستدلال الوقوف على جليتها بيقين. أوجدت الفروض، ثم قمت بتحقيقها من خلال الشواهد العديدة المستقرأة من عيون التراث والمستخرجة من بطون المصادر.

ولما اشتملت الدراسة على كثير من الوقائع والشواهد، عمدت إلى المنهج التاريخي، الذي يقوم على استرداد النصوص إلى أصحابها، وتوثيقها،

وإسنادها إلى مصادرها. ومن ثمّ ذكر آراء المتذوقين والنقاد على اختلاف عصورهم فيها،... كل ذلك من دون إغفال الظروف المحيطة بالظاهرة، والتي أثرت فيها أيّما تأثير.

وكان للمنهج النفسي موقعه السَّني في الدراسة. اتكأت عليه في أثناء استقراء النصوص ودراسة الوقائع، في محاولة لربط الحدث بنفس صاحبه... في سبيل الكشف عن كثير من الحقائق النفسية المحجوبة في برزخ نفس المحب، يخشى الإفصاح عنها، وفشو سرها؛ وبذلك أتوصل إلى تعمق الطبائع الإنسانية. وفيه من المردود ما يعين على صحة وصف خلجات النفس وبواعث الحب وعلامات الصبّ. كل غايتي وهاجسي الوصول إلى برّ أمان الحقيقة، بعيداً عن الناحية المَرَضِيّة حيث أكبر حقول التحليل النفسي.

وبعملي المذكور أكون قد أستندت إلى غير منهج. أو بكلمة اعتمدت على منهج تركيبي غايته ألتماس إيجابيات كل منهج، والتحرر من سلبياته؛ ليكتب للدرس الصواب، وللمعالجة اليقين والفوز. فالمناهج ليست أشياء ثابتة - كما يحلو لبعضهم النظر إليها - بل هي تتغير وفقاً لمقتضيات العِلْم وأدواته... وبذلك جعلتها قابلة للتعديل. ولا يزعمنْ أحدٌ أني خرجت على المناهج بعملي. لا، لأن الفصل بين المناهج العلمية غير ممكن في البحث العلمي، بل نقول: علينا أن نراعي تلك الوحدة. ولا يعترضن أمرؤ علينا بقولنا «البحث العلمي»، «فالبحث الأدبي» علمي يقيناً وحقيقة، لا مجازاً وتوسعاً. وهو ينتمي إلى العلوم الإنسانية، التي تعتبر أشدّ تعقيداً وأصعب منالاً وتقريراً وتعقيداً لعدم ثباتها، وكثرة معطياتها وتغيراتها... بالإضافة إلى ذاتيتها، إذا قيست بالعلوم البحتة التطبيقية ذات السّمة الموضوعية المستقرة.

هدفت من وراء دراستي إماطة لثام الإبهام عن زاوية إنسانية علاها الظلام، تتمثل في تقعيد الحب وتحبيب قواعد الإعراب. وبعملي أرجو أن يضرب كشح الهجر عن ركن مزدوج من التراث، لم ينل من الدرس ما يكفي من القدر. إن وفقت فهذا ما أرجو وأحب وأصبو، وإن أخفقت فسلوتي قول الشاعر: [من المتقارب]

فَلَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ فَاتَهُ عَلَى إِرْبِهِ بَعْضُ مَا يَطْلُبُ

أدعو الله أن يحالفني التوفيق، فأجني ثمرة ما بذلت وغاية ما تعبت

واجتهدت، لأن النفس تتعب عند خيبة أملها وترتاح عند نيل أربها، على حدّ ما أنشده الشاعر: [من الطويل]

وأتعبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زادَ هَمُّهُ   وقَصَّرَ عَمّا تَشْتَهِي النَفْسُ وُجْدُهُ

اللهم إني أتضرع إليك، فأتمنى النجاح والفلاح في ما قدّمت، فأنت نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير، وبالإجابة جدير.

د. محمد كشاش

الثلاثاء في ٨/ ٩/ ١٩٩٨م

الفصل الأول

مبادىء الإعراب وأصول الحب

توطئة

اقتران الحبّ بالإعراب يثير في النفس الدهشة، وفي الذهن العجب واللجلجة. يسبب الحيرة أن الأول ينصرف إلى نبضات الفؤاد، والثاني إلى أحكام اللغة والقواعد. وشتان ـ على ما هو شائع ـ ما بين الفؤاد والقاعدة، وما بين نبضة تبعث الفرح، وحركة تتعب بما تطرح[١]، فتنقبض الوجوه حيناً، وأحياناً تنشرح[٢].

يتأتى العجب من فقدان السبب الذي يجمع الحب والإعراب؛ لأن معرفته والوقوف على جلية حقيقته تبطل الدهشة، قياساً على حدّ المثل الشائع: «إذ

---

(١) يعكس التعب والنصب في النحو العربي ومسائله كثرة التشكي والتذمر، يشهد له ما كتبه دَمَاذ إلى المازني: [من المتقارب]

تَفَكَّرتُ في النَّحوِ حتَّى مَلَلْتُ ... وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي لهُ والبَدَنْ
وَأَتْعَبْتُ بَكْراً وأَصْحابَهُ ... بِطُولِ المَسَائِلِ في كُلِّ فَنْ
خَلَا أَنَّ بَاباً عليهِ العَفَا ... ءُ لِلْفَاءِ يا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
ولِلْوَاوِ بَابٌ إلى جَنْبِهِ ... مِنَ المَقْتِ أَحْسَبُهُ قدْ لُعِنْ
إذا قِيلَ لِمْ قِيلَ لِي هَكَذَا ... على النَّصْبِ قِيلَ بِإضْمَارِ أَنْ
فَقَدْ كِدْتُ يَا بَكْرُ من طُولِ مَا ... أُفَكِّرُ فِي بَابِهِ أَنْ أُجَنْ

يراجع، السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٠٩٥م، ص٨٨، ٨٩، والثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. تا، ص٢٢٣.

(٢) تنشرح الوجوه، وتثلج الصدور عند الوقوف على جلية الأمر في حكم نحو عسير، يدل على ذلك تسمية المبرّد، الذي يعتقد أنه لُقب به؛ لأنه كان يأتي بما يبرد النفوس المهتاجة إلى معرفة الحقيقة النحوية. قال السيوطي: «لما صنّف المازني كتابه الألف واللام سأل المبرّد عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب، فقال له المبرّد، أي المثبت للحق...». ينظر، السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه... محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لا. تا، مج ٢ ص٤٢٧.

عرف السبب بطل العجب». والتقاء الحب بالإعراب ليس من باب المستحيل. فالأشتات تتلاقى والأباعد تقترب وتتدانى، يصدقه قول جميل: [من الطويل]

وَقَدْ تَلْتَقي الأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ وَقَدْ تُدْرَكُ الحاجاتُ وهيَ بعيدُ[(١)]

وليس لقاء النحو وأحكامه بخفقان القلب قولاً عبثاً، ولا رأياً هَذَراً، بل تقاطعهما أمر واقع، وإن أغفله الناس، وهجرته أقلام الباحثين، فبات القول في علاقتهما باباً من الدهشة والاستغراب. ولو أعتاد المرء تداول لقائهما؛ لذهبت الدهشة وبطلت الوحشة. فالغرابة والحيرة تنبعان من هجرهما وتركهما طعاماً لبوار الفكر وكساد البحث. ولضرب كشح الغرابة، يقتضي إبراز انعكاس أصول النحو وأحكام الإعراب في صفحة القلب ومبادىء الحب. أو بكلمة إيضاح نَحْوِ الجَنَان ومدى تناظره مع نَحْوِ اللسان.

من مسائل النحو وتناظرها مع مبادىء الحب

قبل الخوض في لجج اللغة ومبادىء الإعراب، لا بد من التعريج على أقسام المحبة واتجاهاتها. عرف الحب في ميدان الأدب قسمين، أحدهما الحب العذري العفيف، وثانيهما الحب المادي الفاحش[(٢)]. ويتخطى العلماء القسمة الثنائية، إلى أقسام دقيقة تعرف في رحاب كل منهما. قال ابن الدباغ: «إعلم أن المحبة تنقسم إلى قسمين: أحدهما بحسب جنسها والثاني بحسب ما في نفسها. أما قسمتها الجنسية فإنها تنقسم أولاً إلى ذاتية وعرضية، فالذاتية هي التي يُحَبّ المحبوب فيها لذاته، والعرضية هي التي يُحَبّ المحبوب فيها لغيره...»[(٣)].

ومناحي الحب المتعددة، وأنواعه المختلفة تعكس في سلوكها أحكام الإعراب. فمنذ بزوغ فجر الحبّ الأول في قلب الإنسان، وانتهاء إلى لقاء ووصال[(٤)]، يتقاطع

---

(١) جميل بثينة: الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م، ص١٦.

(٢) يراجع في أنواع الحب العفيف والمادي الفاحش، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص٢٢٥ و٢٥١.

(٣) ابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري): كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق هـ. ريتر، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م، ص٣٤.

(٤) يصوره قول أحمد شوقي: [من الخفيف]

مع أصول اللغة، ولا يستطيع الحياد عن مبادئه. تتجلى مصداقية الإشكالية في العديد من الأمثلة والشواهد اللاحقة.

١ ـ اشتقاق الحب، وتسويغ الفرق بين المصدر والمفعول

ميّز علماء العربية ونحاتها بين الحركات من حيث الثقل والخفة، فاعتبروا «أثقل الحركات الضمة ثم الكسرة ثم الفتحة»[١]. اعتمدوا في معيارهم على فطرتهم[٢] لا على فكرهم، مستندين فيها إلى الملموس المحسوس[٣]. انعكست خفة الحركة على اشتقاق مادة «حب»، والتفريق بينها وبين المحبوب، نظراً لوقعه على قلوبهم. جاء في مادة [حب]: «الحُبُّ الوداد كالحُبَاب والحِبّ بكسرهما والمحبة... وهو محبوب على غير قياس ومُحَبٌّ قليل وحَبَبْتُهُ أُحِبُّهُ بالكسر شاذ حُبًا بالضم والكسر... والحُبَاب بالضم والحِبُّ بالكسر والحُبَّة بالضم المحبوب...»[٤]. والمصدر يتساوى مع اسم المفعول، قالوا: «الحِبُّ المحبوب» للمفعول، و «الحُبُّ الوداد» وكذلك

= إنْ رَأتني تميل عني، كأن لم ... تكُ بَيْني وبينها أشياءُ
نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ ... فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

أحمد شوقي: الشوقيات، مكتبة التربية، بيروت، ١٩٨٧م، مج ١، ج٢ ص١٠١.

(١) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، لا. تا، ج١ ص٣٥٠.

(٢) يبرز منهجهم الفطري في عمل أبي الأسود الدؤلي عند وضع نقاط الإعراب (الحركات). روت المصادر أن أبا الأسود الدؤلي لما ابتدأ في وضع النحو أتى بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، ثم أتى بآخر فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين. ينظر، السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص ٣٥، وابن النديم: الفهرست، ص ٦٠.

(٣) يدل على ذلك ما روي عن الخليل. قال رجل للخليل: لا أجد بين الحركات فرقاً، فقال: ما أقلّ ما يميز أفعاله! أخبرني بأخفّ الأفعال عليك، فقال: لا أدري. قال: أخفّ الأفعال عليك السمع لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة إنما تسمعه من الصوت وأنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفي إخراج الكسرة إلى تحريك جانب الفم مع إخراج الصوت، وفي إخراج الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد. ينظر، السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص٣٥٠.

(٤) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، مج ١ ص٥٠، مادة [حب].

الحِبّ بالكسر[١]. ولما تساوى المصدر والمفعول في مادة «الحِبّ»؛ فدلت على المحبوب وعلى الوداد في آن معاً بأعتبار شكل الصيغة، فصلوا بينهما بالحركة[٢]؛ فجعلوا الكسرة «الحِبّ» للمحبوب، والضمة «الحُبّ» للمصدر، مستندين إلى مبدأ نحوي قائل بـ «خفة الكسرة». وثقل الضمة على قلب الحبيب هو صدى لحكم الحب وخفقان القلب، يعززه قول أبن قيم الجوزية: «وقد يشترك فيه المصدر والمفعول نحو رِزْق. وفي إعطائهم ضمة الحاء للمصدر سرٌّ لطيف، فإن الكسرة أخفّ من الضمة، والمحبوب أخف على قلوبهم من نفس الحُبّ، فأعطوا الحركة الخفيفة للأخفّ، والثقيلة للأثقل...»[٣].

٢ ـ ضمير الحبّ وضمير الإعراب

الضمير في حدّه اللغوي: «ما دلّ ـ وضعاً ـ على متكلم أو مخاطب أو غائب»[٤]. وهو لا يُصَرَّح به بل يكنى به عن المتكلم أو المخاطب.. والضمير بحكم تركيبه وصورته في اللفظ ظاهراً أو مستتراً لا ينعت. أوضح السيوطي مسألة عدم نعته، قال: «لا ينعت الضمير ولا ينعت به مطلقاً. أما الأول فلأنه إشارة بحرف واحد أو حرفين إلى ظاهر تقدم ذكره. والإشارة لا تنعت بل المشار إليه الظاهر المتقدم، ولأن النعت في الأصل إيضاح أو تخصيص، ولا إضمار إلا بعد معرفة لا إلْباس فيها. وأما الثاني فلأنه ليس بمشتق ولا مؤول، فلا يتصور فيه إضمار يعود على منعوته، ولأنه أعرف المعارف...»[٥].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، مج ١ ص٢٨٩، ٢٩٠، مادة [حب].

(٢) علة الفرق مبدأ نحوي مراعى في أصول النحو العربي. يراجع، السيوطي: كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، دار المعارف، حلب ـ سوريا، جمادى الآخرة، ١٣٥٩هـ، ص٤٨.

(٣) ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٦.

(٤) الفاكهاني: حدود النحو، ضمن الحدود في ثلاث رسائل، تقديم وتحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص١٣.

(٥) السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ج٥ ص١٧٥، ١٧٦. وزاد السهيلي إيضاحاً، قال:... لأن المضمر لا ينعت ولا ينعت به فلا بد أن يكون نعت الاسم الظاهر ظاهراً مثله. السهيلي: نتائج الفكر في النحو، حققه وعلّق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢، ص١٦٧.

استند المحبّ في عتاب حبيبته على الأصل النحوي في طلب التصريح بما يكنه فؤادها نحوه. وإذا ما أضمرت عما في نَفسها شجبها. ومثله العلاقة بين الحبيب والآخر، يشهد له قول نجم الدين القحفاري الحنفي: [من السريع]

أَضْمَرْتُ في القَلْبِ هَوَى شَادِنٍ مُشْتَغِلٍ في النَّحْوِ لَا يُنْصِفُ
وَصَفْتُ مَا أَضْمَرْتُ يوماً لَهُ فقال لي المُضْمَرُ لَا يُوصَفُ[(١)]

٣ ـ الوصال حذر الكاشحين حملاً على حذف التنوين

التنوين حقيقته نون زيدت علامة للصرف[(٢)]، وذلك نحو قولك: هذا رجلٌ وغلامٌ، ورأيت رجلاً وغلاماً، ومررتُ برجلٍ وغلام. ونون التنوين تثبت لفظاً وتسقط خطاً. وإذا أريد إضافة اسم إلى آخر حذف ما في المضاف من نون تلي الإعراب. قال ابن مالك: [من الرجز]

نُوناً تَلِي الإِعْرابَ أَوْ تَنْوِيناً مِمَّا تُضِيفُ احْذِفْ كَطُورِ سِينا[(٣)]

وعلة حذف التنوين عند الإضافة أن الإضافة تعاقب التنوين، فلا يجتمعان. التنوين يحمل معنى التنكير، والإضافة معنى التعريف[(٤)]. انعكست

---

(١) يراجع، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧، ج٤ ص١٥٠.

(٢) ينظر، ابن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ج٢ ص٤٩٠، ٤٩١.

(٣) ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ضبط النص على شروح الألفية خالد الرشيد، دار الرشيد، لا. ب، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص٣٢. جاء في شرح البيت: إذا أريد إضافة اسم إلى آخر حذف ما في المضاف من نون تلي الإعراب، وهي نون التثنية أو نون الجمع، وكذا ما ألحق بهما... أو بتنوين وجر المضاف إليه. ينظر، ابن عقيل: شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١٤، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، ج٢ ص٤٣.

(٤) والوجه الثاني الذي لم يجز الجمع بينهما أن الإضافة علامة الوصل، والتنوين علامة الفصل، فلو جوزنا الجمع بينهما لأدى ذلك إلى أن يجمع بين علامة وصل وعلامة فصل في كلمة واحدة، وهما ضدان، والضدان لا يجتمعان. يراجع، ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لا. ب، لا. تا، ج٢ ص٤٩٢، ٤٩٣.

قاعدة التنوين في حكم وصال الأحبة، فلا يجتمعان وعيون الكاشحين تلاحقهما. ويحصل الاجتماع عند حذفهم بغض أطرافهم، على سُنَّة حذف التنوين عند الإضافة. أنشد أبو إسحاق الأندلسي الإشبيلي: [من الخفيف]

لَيْتَنِي نِلْتُ منه وصلاً وأَجْلَتْ لَيْلَةُ الوَصْلِ عَنْ صَبَاحِ المَنُونِ
وَقَرَأْنَا بَابَ العِنَاقِ مُضَافاً وَحَذَفْنَا الرَّقِيبَ كَالتَّنْوِينِ[1]

٤ ـ لقاء المحبين على إيقاع صلة الموصولين

الاسم الموصول نوع من أنواع المعارف، وهو قسمان: الموصول الاسمي «ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية معهودة أو ظرف أو جار ومجرور تامّين. . .»[2]، نحو: جاءني الذي قام. والموصول الحرفي «ما أوّل مع صلته بالمصدر ولم يحتج إلى عائد»[3]، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾[4] وتأويله: يكفهم إنزالنا. والموصول لا يستقيم معناه إلا بالصلة، فلو قلنا: «جاء مَنْ»، لم يستقم المعنى، ولم يفهم المقصود والمرتجى؛ لأن المعنى مبهم لا يدل على معين. وقد اشترط العلماء ـ تفادياً للإبهام ـ في الصلة حتى يستقيم معناها افتقارها إلى موصول. والمُحبّ مع فعل الحب والمَحبّ يشكلان مجموعة الحب، كما يمثل الموصول مع صلته دائرة المعنى، ولولاهما ما وُجدَ الحب وتجسّد. قال النحاة: «وتقتصر كلّ الموصولات إلى صلة متأخرة عنها مشتملة على ضمير مطابق لها يسمى العائد»[5]. والصلة مع موصولها يكملان الجملة، كما أن الحبيب مع

---

(١) يراجع، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . .، ج٤ ص١٥٠.

(٢) الفاكهي: حدود النحو، ص١٤، وابن هشام: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١٠، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، ص١٤١.

(٣) الفاكهي حدود النحو، ص١٥، والحرفيّ ستة، هي: أنْ، أنّ، ما، كي، لو، الذي. ينظر، ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ج١ ص١٣٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٥١. و«أنّا» في موضع رفع «بيكفي». يراجع، ابن النحاس: إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ج٣ ص٢٥٩.

(٥) ينظر، ابن هشام: أوضح المسالك. . .، ج١ ص١٦٤، والزمخشري: المفصل، شرح أبياته السيد محمد بدر الدين النعساني، دار الجيل، بيروت، لا. تا، ص١٤٧.

حبيبته يكملان معنى الحب، ويمنحانه طعماً ولوناً. انطبق قانون النحو مع قانون الحب، إذ لا يجوز الوصل من غير صلة. قالت حبيبة تعاقب حبيبها في أثناء وصالهما على لسان ابن جابر الأندلسي(١): [من الكامل]

قَالَتْ وَقَدْ حَاوَلْتُ نَيْلَ وِصَالِهَا ... مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ لا تَجُوزُ الـمَسْأَلَةْ
بِٱللَّهِ قُلْ لِي أيْنَ نَحْوكَ يا فَتَى ... أرَأَيْت مَوْصُولاً يَجِيءُ بِلَا صِلَةْ(٢)

٥ ـ عتاب نوى الأحبة على هَذي أحْكَام الضرورة

اختلف النحاة في جواز مد المقصور في الضرورة على مذهبين. الكوفيون ذهبوا إلى أنه يجوز مَدُّه في ضرورة الشعر. وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز(٣). والخليل بن أحمد ـ وهو من البصريين ـ منع مدّ المقصور.

استند العاشقون إلى المبدأ المذكور، فعاتبوا أحبتهم في هجرهم، ومدّ نوى الفرقة بينهم. وزادوا في استنادهم توريتهم باسم الخليل بن أحمد، حين قصدوا به الحبيب. أنشد ابن جابر الأندلسي: [من الكامل]

مَا لِلنَّوى مُدَّت بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ... وَلِقَبْلِ مَعْرِفَتي بِهَا مَقْصُورَةْ
إنَّ الخَلِيلَ(٤) وإنْ دَعَتْهُ ضَرُورَةٌ ... لَمْ يَرْضَ ذَاكَ فَكَيْفَ دُونَ ضَرُورَةْ(٥)

---

(١) اسمه محمد بن أحمد بن علي الهواري المالكي، كنيته أبو عبد الله ونعته شمس الدين، ومشهور بابن جابر الأندلسي. من أهل المرية، ولد سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م. قدم إلى دمشق، وسمع بها من أشياخ عصره. شاعر وعالم بالعربية. ابن جابر أعمى، كان يؤلف وينظم، والرعيني يكتب فاشتهرا بالأعمى والبصير. من كتبه «شرح ألفية ابن مالك» و«شرح ألفية ابن معط»، وبديعية على طريقة الحلي أسماها «الحلة السيرا في مدح خير الورى» وسواها. توفي سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م. ينظر، المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، ج٢ ص٦٦٤، والصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي باشا، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م، ص٢٤٤.

(٢) يراجع، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . ، ج٤ ص١٥٠.

(٣) ينظر، ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢ ص٧٤٥.

(٤) الخِلُّ الرجل يُخَالُك، وهو الخليل. ابن فارس: مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ج١ ص٢٧٦، مادة [خل]. وقد استعملت على التورية، إذ حملت معنى ظاهراً هو «الخليل بن أحمد» اللغوي البصري، وهو غير مقصود، والمعنى البعيد، أي الحبيب هو المقصود.

(٥) ينظر، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . ، ج٤ ص١٥٠.

وقد انتشر اقتباس القاعدة اللغوية في باب الغزل والحب كثيراً، حتى ارتقى إلى ظاهرة ملحوظة. من شواهدها قول أبي جعفر الأندلسي[١]: [من الكامل]

قَدْ كَانَ لِي أُنْسٌ بِطيبِ حَديثِكُم ... والآنَ صَارَ حَدِيثُكم بِرَسُولِ
وَلَقَد مَدَدْتَ مِنَ النَّوَى مَقْصُورَهُ ... إنَّ الخَلِيلَ يراهُ غَيْرَ جَمِيلِ[٢]

وفيه يدعو الخليل خليله والحبيب حبيبه إلى الوصال، وارتشاف لذة اللقاء، بعفة وحجة قوية. ويجهر المحبون بضرورة إقامة أود الحكم النحوي في علاقتهم مع مَنْ أحبوا؛ فينفذون منها إلى مأربهم بأيسر السبل وأجمل القول. فيه لا يخشون الكاشح ولا لوم لائم فاضح. يصرحون مورين «بالخليل»، يدّعون أنهم على مذهبه، بغية عدم مدّ «النوى»؛ ليعودوا إلى اللقاء، مفارقين أوقات الشقاء التي أنتجت الهجر والداء. قال الشاعر: [من الكامل]

مَا لِلنَّوَى مُدَّتْ وأَنْتَ خَلِيلُنَا ... ولِقَبْلِ قد قصُرَتْ بِرَغْمِ الكاشِحِ
أتبَعْتَ في ذَا مَذْهباً لا يُرْتَضَى ... نَقْداً ولَيْسَ الرَّأيُ فِيهِ بِصَالِحِ[٣]

٦ ـ قلبا الحبيبين لا ينفصلان لأنهما المضاف والمضاف إليه

افترق النحاة في مسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه على مذهبين. الكوفيون أجازوا الفصل بينهما بغير الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر. والبصريون لم يجيزوا الفصل بغير الظرف وحرف الجر[٤]. من أمثلته قول أبي حيّة النميري[٥]: [من الوافر]

---

(١) اسمه أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، كنيته المعروف بها أبو جعفر الأندلسي. وُلد بعد سنة ٧٠٠هـ. أديب، عارف بالنحو. رافق ابن جابر الأندلسي في رحلته إلى المشرق سنة ٧٣٩هـ، ثم أقام بحلب نحو ٣٠ سنة. من كتبه «شرح بديعية» رفيقه ابن جابر، و«طراز الحلة» وغيرهما. توفي سنة٧٧٩هـ/١٣٧٨م، يراجع، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لا.ب، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، مج ١ ص٤٠٣، والزركلي: الأعلام، مج ١ ص٢٧٤.

(٢) يراجع، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . ، ج٤ ص١٥٠، ١٥١.

(٣) ينظر، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . ، ج٤ ص١٥١.

(٤) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج٢ ص٤٢٧.

(٥) اسمه الهيثم بن الربيع بن زُرَارة، من بني نمير بن عامر، كنيته المعروف بها أبو حَيَّة النُّمَيْري. من أهل البصرة، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. شاعر مجيد=

كَمَا خُطَّ الكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أوْ يُزِيلُ[(١)]

وقلوب الأحبة واحدة، لا تنفصم عراها إلا بفعل كاشح أو جناية واشٍ. وهي شبيهة بالمضاف والمضاف إليه اللذين لا يفصل بينهما إلا الظرف. ولو وقعت هوة بين الحبيبين، فإنها تزول ببسمة حبيب وغمزة لحظ، وإشارة يد، عملاً بمبدأ فصل الظرف المضاف والمضاف إليه. وما أسرع رأب العاشقين صدع علاقتهم! محتجين بسند قوي هو قاعدة فصل المضاف والمضاف إليه بالظرف. قال محاسن الشواء[(٢)]: [من المتقارب]

أرَى الصَّفْعَ وِرْدَ مِنْهُ القَذَالا وأوْسَعَ فِي أخْدَعَيْهِ المَجَالا
وَأسْلاهُ عَنْ حُبِّ ذاتِ اللَّمَى وإنْ هِيَ رَاقَتْ وفَاقَتْ جَمَالا
لَئِنْ كَانَ قَدْ حَالَ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ الحَبِيبَةِ صَفْعٌ تَوَالَى
فَقَدْ يُحْدِثُ الظَّرْفُ بَيْنَ المُضَافِ وبَيْنَ المُضَافِ إليهِ انْفِصَالا[(٣)]

٧ ـ رفع الهجر دفعاً للغم قياساً على التمييز رفعاً للإبهام

يؤدي التمييز رفع إبهام ما قبله من إجمال أو اسم. وهو «كل اسم نكرة

= فصيح راجز، مدح خلفاء عصره. توفي في آخر خلافة المنصور، وقيل سنة ١٨٣هـ/ ٨٠٠م. ينظر، الأصفهاني: الأغاني، ج١٦ ص٢٣٦، والبكري: سمط اللآلي... ج١ ص٩٧ ـ ٩٨.

(١) العيني: المقاصد النحوية (حاشية خزانة الأدب للبغدادي)، دار صادر، بيروت، ط١، لا. تا، مج ٣ ص٤٧٠، والشاهد فيه قوله: [بكفِ يوماً يهودي] حيث فصل بين المضاف وهو «كف» والمضاف إليه وهو «يهودي» بأجنبي من المضاف وهو «يوماً»، وإنما كان الفاصل أجنبياً لأن هذا الظرف ليس متعلقاً بالمضاف، وإنما هو متعلق بقوله خط.

(٢) اسمه يوسف بن إسماعيل بن علي، كنيته أبو المحاسن ونعته شهاب الدين ومعروف بالشواء. كوفي الأصل والمنشأ والوفاة، مولود في حلب. لازم كثيراً حلقة الشيخ تاج الدين أبي القاسم المعروف بابن الجبراني الحلبي النحوي، وأكثر من أخذ الأدب عنه، وانتفع بصحبته. أبو المحاسن أديب فاضل متقن لعلم العروض والقوافي، شاعر.... كان صديقاً لابن خلكان. توفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. يراجع، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لا. تا، مج ٧ ص٢٣١.

(٣) ينظر، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص..، ج٤ ص١٥١.

متضمن معنى «مِنْ» لبيان ما قبله من إجمال، نحو: «طاب زيدٌ نفساً» و «عندي شبرٌ أرضاً. . .»[١]. وتمشياً مع الغاية منه حمل مصطلحات متعددة كلها تحتضن معنى الإفصاح ورفع الإبهام. قالوا: ويسمى «مُفَسّراً ومُبَيِّناً ومميِّزاً أو تمييزاً»[٢]. استناداً إلى كُنه التمييز، وما يختزن من رفع الإبهام. وعلى إيقاعه، رجا ابن أبي الإصبع[٣] حبيبه أن يرفع هجره عنه، حجته حكم التمييز النحوي. أنشد: [من الطويل]

أَيَا قَمَراً مِنْ حُسْنِ وَجْنَتِهِ لَنَا ... وظِلُّ عِذَارَيْهِ الضُّحَى والأَصَائِلُ
تَصَدَّقْ بِوَصْلٍ إِنَّ دَمْعِي سَائِلٌ ... وزَوِّدْ فُؤَادِي نَظْرَةً فَهْوَ رَاحِلُ
جَعَلْتُكَ بالتمييزِ نَصْباً لِنَاظِرِي ... فَهَلَّا رَفَعْتَ الهَجْرَ والهَجْرُ فَاعِلُ[٤]

٨ ـ طلب الذكر دواماً للغرام، تجنباً للسقوط كالألف في درج الكلام

يلهث الحبيب ويلج في طلبه من حبيبته، يرجوها أن تذكره حتى لا يسقط من قلبها، بسقوطه من لسانها. وهو أمر على بساطته يذهل الواشين ويطمئن الحاسدين، قال جميل بثينة: [من الطويل]

وإنّي لأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بالّذي ... لَوَ أبْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلَابِلُهْ[٥]

وذكر الحبيب دواء داء الحب، وبلسم جراحه، ومبدد همومه، يصدقه من ابتلى بعذابه واكتوى بناره. قال مجنون ليلى: [من الطويل]

---

(١) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج١ ص٦٦٣.

(٢) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج١ ص٦٦٣، والفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ج١ ص٢٢٥، والمبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لا. تا، ج٣ ص٢٧٣.

(٣) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري. ولد بمصر سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م. شاعر وعالم بالأدب. له تصانيف حسنة وشعر رائق، منها «بديع القرآن» و«تحرير التحبير» و«السوانح في كشف أسرار الفواتح»، وغيرها. توفي بمصر سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. يراجع، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لا. تا، مج ٢ ص٣٦٣.

(٤) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، مج ٢ ص٣٦٤، والشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . ، ج٤ ص١٥١. وقد ورد البيت الثالث في المصدر الأول بشيء من التحريف. جاء «فَلِمْ لا رَفَعْت» بدل «فهلّا».

(٥) جميل بثينة: الديوان، ص٨٨.

إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى أُسَرُّ بِذِكْرِهَا كَمَا انْتفض العُصْفُورُ مِن بَلَلِ القَطْرِ[(١)]

والحبيب يناشد حبيبته أن تذكره، يتبع في طلبه مذهباً كلامياً مقتلعاً من أصول النحو. وهو قائم على تشبيه حاله بحال «همزة الوصل» التي تسقط في درج الكلام[(٢)]. قال: [من السريع]

أُدْرِجْتُ فِي أَثْنَاءِ نِسْيَانِكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَلِفُ الوَصْلِ[(٣)]

وعلى هٰذي ما ذكر اتكأ العاشقون في تسويغ علاقاتهم مع أحبتهم على أحكام النحو وأصول اللغة. بدأ سلوكهم ببعض الشعراء الذين وُصف بعضهم بأنه كان «كثيراً ما يستعمل العربية في شعره...»[(٤)]. من أمثلته ما أنشده أبو المحاسن الشواء في غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر: [من السريع]

أَرْسَلَ صُدْغاً وَلَوَى قَاتِلِي صُدْغاً فَأَعْيَا بِهِمَا وَاصِفَهْ
فَخِلْتُ ذَا فِي خَدِّهِ حَيَّةً تَسْعَى وَهذَا عَقْرَباً وَاقِفَهْ
ذَا أَلِفٌ لَيْسَتْ لِوَصْلٍ وَذَا وَاوٌ وَلٰكِنْ لَيْسَتِ العَاطِفَهْ[(٥)]

ثم ازداد نمط استعمال أصول العربية في الشعر، حتى عرف فيه غير شاعر. من شواهده قول البهاء زهير[(٦)] في ظبي: [من الطويل]

فَيَا ظَبْيُ هَلَّا كَانَ فِيكَ الْتِفَاتَةٌ وَيَا غُصْنُ هَلَّا كَانَ فِيكَ تَعَطُّفُ

---

(١) مجنون ليلى: الديوان، دراسة وتعليق يُسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٧٠.

(٢) تحذف ألف الوصل من أسماء وأفعال كثيرة، وعلة ذلك وقوعها في درج الكلام... ينظر، ابن درستويه: كتاب الكتّاب، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود. عبد الحسين الفتلي، دار الكتب الثقافية، الكويت - حولي، ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص٧٦.

(٣) الثعالبي: خاص الخاص، قدم له حسن الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة جديدة، لا. تا، ص٦٨.

(٤) يراجع، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٧ ص٢٣٤.

(٥) ينظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٧ ص٢٣٤.

(٦) اسمه زهير بن محمد بن علي بن يحيى... المهلبي العتكي، كنيته أبو الفضل ولقبه بهاء الدين الكاتب. ولد بمكة سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م، ونشأ بقوص. من فضلاء عصرهم وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً. اتصل بخدمة الملك الصالح أيوب، وظل حظياً عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير في داره إلى أن توفي بمصر سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨. يراجع، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٢ ص٣٣٢.

وَيا حَرَمَ الحُسْنِ الذي هو آمِنٌ ... وَأَلْبَابُنَا مِنْ حَوْلِهِ تَتَخَطَّفُ
عَسَى عَطْفُهُ بِالْوَصْلِ يَا وَاوَ صُدْغِهِ ... وَحقِّكَ إنِّي أَعْرِفُ الوَاوَ تَعْطِفُ[(١)]

فقد استعمل الشاعر مصطلحات النحو «الوصل»، «العطف»، ليطلب من خلال التورية فيها ما يريد من حبيبه «الظبي». إنه يطلب أن يعطف عليه بالوصل مستعملاً أسلوب اللطف بعيداً عن الفحش والسخف. ومثل التداخل بين الحب والإعراب، واقتباس الأول من الثاني كثير[(٢)].

برزت أحكام اللغة والنحو العربيين في التعبير عن الحب والاشتياق، وطلب الوصال. وقد امتاز التعبير بالحشمة والأدب اللذين غلفهما به النحو برصانته وجديته. ظهر الحب في ثنايا أحكام النحو حديث روح إلى روح، ونبضة قلب تعبر عن شوق وحب، وتفضي إلى راحة قلب.

وتتجاوز الأحكام مواضع الحب الحقيقي الروحي، إلى حنايا مادية يطلب فيها وصال النفس، بغية ارتشاف لذة الحس. تجلى الإستناد إلى مبادىء النحو واللغة في غير مسألة، على ما سنبين.

١ ـ طلب الجماع فيما وجب فيه الامتناع

في العربية قانون يعطي فيه «الشيء حكم الشيء إذا جاوره»[(٣)]، يسمى «الحمل على الجوار». من أمثلته قول بعضهم: «هذا جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ»، بجر «خربٍ» حملاً على جواره «ضبٍّ» المجرور. وأصله الرفع نعتاً للمرفوع «جحر». وقد اتخذه بعضهم أصلاً للحصول على مأرب بعد أن خاب ما نواه من أرب. يحكى أن أعرابياً أراد امرأة له، فقالت له: إني حائض، فقال: فأين الهَنَة[(٤)] الأخرى؟ فقالت له: اتقِ الله، فقال: [من الرجز]

---

(١) البهاء زهير: الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م، ص٢٠٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٢ ص٣٣٤، وقد ورد في الديوان «للوصل» بدل «بالوصل»، و«عليّ» بدل «وحقل».

(٢) ينظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٧ ص٢٣٤، ٢٣٥، والثعالبي: كتاب خاص الخاص، ص٦٨.

(٣) ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلق عليه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م، ص٨٩٤.

(٤) الهَنُ الفرجُ، أصله هنٌ عند بعضهم. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج ٤ ص٢٧٨، مادة [هن].

كلا وربِّ البيتِ ذي الأستارِ لأهتكنْ حلقَ الحتَّارِ[١]
قد يؤخذُ الجارُ[٢] بجرمِ الجارِ[٣]

وارتقى الأمر حتى أصبح ظاهرة معروفة[٤]؛ نتيجة لشيوع الحكم النحوي. تقول العرب: «فلان يأخذ الجار بالجار كناية عمن يأخذ امرأته في غير موضع الحرث»[٥].

٢ ـ قضاء الشهوة بعبارة بعيدة عن الشبهة

يصبو المِحبّ في أحايين كثيرة إلى نيل مراده من حبيبته، الذي يتمثل في قضاء شهوته وتحقيق لذته. والجهر به نقص في حياء المرء وقلّة أدب سلوكه (الاتيكيت) اللغوي. وعندما يعمد أحدهم إلى ابتغاء صبوته، يجد في قوانين النحو ومصطلحاته ما يلذ به لسانه ويطيب، كما يلذ فعله ويجود. من أظرف ما عرف في الفاعل والمفعول وعلامة إعرابهما قول أبي الفتح البستي[٦]: [من البسيط]

---

(١) حتار الدبر حَلَقَتُهُ. ابن منظور: لسان العرب، مج ٤ ص١٦٣، مادة [حتر].

(٢) قال بعض أهل اللغة: الجار اسم للفرج. فالجار الأول ـ في البيت ـ من المجاورة، والثاني اسم للفرج، واحتج بقول المرار الفقعسي: [من البسيط].
ولستُ للأمّ من عبسٍ ومن أسدٍ وإنّما أنت دينارُ بنُ دينارِ
فإنْ تكنْ مِنْ بني عبسٍ وأمُّهُمُ فأمُّ عَبْسِكُم من جارَةِ الجارِ
ينظر، أبو العباس الجرجاني: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، ص٣٤.

(٣) ابن جني: الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، لا. تا، ص١٧١، وابن منظور: لسان العرب، مج ٤ ص١٦٣، مادة [حتر].

(٤) ولا أدل على انتشارها من صياغتها مثلاً سائراً. قال الميداني: «قد يؤخذ الجار بذنب الجار». الميداني: مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م، ج٢ ص١٠٩.

(٥) أبو العباس الجرجاني: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، ص٣٤.

(٦) اسمه علي بن محمد بن الحسين بن عبد العزيز البستي، كنيته أبو الفتح. ولد في بُسْت (قرب سجستان) وإليها نسبته. شاعر عصره وكاتبه، من كتّاب الدولة السامانية في خراسان. له ديوان شعر صغير، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: «زيادة المرء في دنياه نقصان». توفي سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م. ينظر، ابن خلكان: وفيات =

أَفْدي الغَزَالَ الّذِي في النّحوِ كَلّمَني ... مُناظِراً فاْجتَنَيْتُ الشُهْدَ مِنْ شَفَتِهْ
وأوْرَدَ الحِجَجَ المقبولَ شاهِدُها ... مُحَقِّقاً لِيَرِيني فَضْلَ مَعْرِفَتِهْ
ثُمّ اْفتَرَقْنا عَلَى رَأيٍ رَضِيتُ بهِ ... والرّفْعُ من صِفَتِي والنَّصْبُ مِنْ صِفَتِهْ[1]

يعني أنه كان فاعلاً، والفاعل مرفوع، والغزال مفعولاً به، والمفعول منصوب.

٣ ـ مجالس الحب والطرب على موسيقى حركات الإعراب

ويتلاحق استعمال مسائل النحو وأحكامه في ميدان الطرب، ومجالس القصف والغناء واللعب. في رحابها يستشف المرء السرور، ويسعى إلى اقتناص كل ما يدنيه من الحبور. يحاول ممارسة الحب متخطياً الحدود، غايته الوصول في اللذة إلى المزيد. وأحياناً ينغص عيشه سماع كلمة في أغنية تخالف القاعدة فينقلب خاسئاً وهو حسير. ولم يعد إلى رشده وصوابه إلا بعد سماع جوابه. وليس الأمر بمستغرب؛ لأن القيْنة كان تحذق أحكام لغة العرب. يروى أن النَّضْرَ بن شُمَيْل[2] صاحب الخليل حضر مجلساً مع جماعة من الأدباء، فغنتهم قينة هذين البيتين وأحسنت: [من الطويل]

وقَالُوا لَهَا: هَذَا مُحِبُّكِ مُعْرِضٌ ... فَقَالَتْ: أَرَى إعْرَاضَهُ أيْسَرَ الخَطْبِ
وَمَا هُوَ إلّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ ... فَتَصْطَكُ رِجْلَاهُ ويَسْقُطُ لِلجَنْبِ[3]

= الأعيان، مج ٣ ص٣٧٦، وطاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا، مج ١ ص٢٥٦.

(١) أبو الفتح البستي: الديوان، حققه وجمع زياداته د. محمد مرسي الخولي، ضمن أبو الفتح البستي حياته وشعره، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص٣٣٧.

(٢) هو النَّضر بن شميل بن خَرَشه المازني التميم، كنيته أبو الحسن. ولد بمرو سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م. انتقل إلى البصرة مع أبيه. أحد أعلام اللغة ورواية الحديث وأيام العرب.... اتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه. من مؤلفاته: كتاب «الأنواء» و«غريب الحديث» و«المعاني» وغيرهم. توفي سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٩م. ينظر، الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٥٥ ـ ٦١، والفيروزأبادي: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص ٢٧٥.

(٣) يراجع، أبو العباس الجرجاني: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، ص١٤، وابن الجوزي. كتاب الأذكياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص٢٥٤. وقد وردت الرواية في المصدر الأخير بشيء من التحريف. جاء فيها اسم «المبرد» بدل اسم «النضر بن شميل»، كما لحق التغيير البيتين.

فطرب الجماعة إلا النَّضْر، فألحوا عليه بالعذل، فقالت القينة: دعوه فإني أعرف عذره، إنما سببه كون إنشادي «هذا محبك معرضٌ»، ولم أقل «معرضاً». ألم يعلم أن عبد الله بن مسعود قرأ: «وهذا بعلي شيخٌ»[١]. فلما سمع النَّضْر ذلك قام وأظهر الطرب.

وتخطى الحب مسائل النحو النظري إلى نحو وظيفي، قائم على الثمرة منه، المتمثلة في حسن الخطاب وجودة الضبط وصحة النظم... والنظم كما هو معروف «أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها...»[٢]. والجارية تصل إلى مبتغاها بلسانها، وحسن نظمها. قيل إن جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لمولاها: خذ جاريتك فلولا كلفٌ بوجهها وخنسٌ بأنفها لاشتريتها. فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة: يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول، فقال: قولي، فأنشدت بيتين: [من السريع]

مَا سَلِمَ الظَّبْيُ عَلَى حُسْنِهِ ... كَلَّا وَلَا البَدْرُ الذي يُوصَفُ

الظَّبْيُ فِيهِ خَنَسٌ بَيِّنٌ ... والبَدْرُ فِيهِ كَلَفٌ يُعْرَفُ

فأعجبته بلاغتها فاشتراها وقرَّب منزلتها، وكانت أحظى جواريه عنده[٣].

ونوادر الحب التي تعتمد على بداهة الجواب، وجودة اللغة في مجالس الطرب كثيرة، حتى بات النحو فيها أساساً من أسس جذب الحبيب، ومدخلاً إلى اعتلاء عرش القلوب. تلجأ إلى التورية عما في نفسها، وتبادل الحب عبر قوانين الإعراب، فتبيت في مأمن من عيون الكاشحين، وتحصل على ما تريد من المحبين. حُكي أن أعرابياً بعث غلاماً إلى امرأة يواعدها موضعاً يأتيها فيه، فذهب الغلام وأبلغها الرسالة. فكرهت المرأة أن تقرّ للغلام بما بينهما، فقالت:

---

(١) سورة هود، الآية ٧٢. ويراجع في قراءتها، ابن النحاس: إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ج٢ ص٢٩٤، وفيه تفصيل إعرابها بالرفع من خمسة أوجه.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٦٢.

(٣) يراجع الإبشيهي: المستطرف في كل من مستظرف، دار الجيل، بيروت، ط١، لا. تا، ج١ ص٩٦، وابن الجوزي: كتاب الأذكياء، ص٢٤٦، ٢٤٧.

والله لئن أخذتك لأعركنّ أذنك عركة تبكي منها، وتستند إلى الشجرة ويغشى عليك إلى وقت العتمة. فلم يعرف الغلام معنى الكلام، وانصرف إلى صاحبه وحكى له، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة(١).

لقد دخلت مبادىء النحو في سلوك الحب العفيف والفاحش، ووصل التبادل بينهما إلى ميادين رحيبة شتى. في الغزل، عند غناء القيان، في حديث مجالس اللهو... وكأن النحو ومبادئه سكة معبّدة يعبر منها إلى قلوب الآخرين. ويكفي أن اللحن في كلامهن إشارة دلال وعلامة غنج(٢)... تنم عن رغبة في وصال، أو دعوة إلى اتصال؛ لما في «اللحن» من التورية والعدول عن الوجهة المعروفة. وفي اختلاف نبرة الكلام وإيقاع اللسان تبليغ شيء(٣)، عملاً بالمبدأ القائل «خالف تعرف». قال ابن الأعرابي: ... ولحن يَلْحَنُ فهو لَحِنٌ إذا أصاب وفطن، وأنشد: [من الخفيف]

وَحَـدِيـثٍ أَلَـذُّهُ هُـوَ مِـمَّـا ... يَـنْـعَـتُ الـنَّـاعِـتُـون يُـوزَنُ وَزْنـاً
مَـنْـطِـقٌ رائِـعٌ وتَـلْـحَـنُ أحـيـا ... نـاً وَخَـيْـرُ الـحـديـثِ مـا كـان لـحـنـاً(٤)

يريد أنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره، وتعرّض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها.

هكذا لجأ شعراء الحب ورواده إلى الاقتباس من علم النحو، وتضمين كلامهم بعض مسائله. إتكأوا عليها في سبيل تبرير قضية من قضايا حبهم، بغية

(١) ابن الجوزي: كتاب الأذكياء، ص٢٤٥.
(٢) الغُنْج والدَّلُّ والدَّلال أو الترفق والتكسر وترخيم الكلام حالة أصيلة في طبع المرأة. قالوا: غنجت الجارية غُنجاً حَسُنَ شكلها. وقد غَنِجَتْ وتغنجت، فهي مِغْناجة. ولكلام المرأة أثر في اجتلاب اللذة، وقد اشتقوا لفعل كلام المرأة مادة لغوية تختزن الدلالة على حركات وأصوات تصدر عن الرجل مع زوجته اسموها «الزَّهْز». يراجع، السيوطي: شقائق الأترنج في رقائق الغنج. تحقيق عادل العامل، دار المعرفة، دمشق، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص٢٠ - ٢٥.
(٣) يعزز ما نراه قول القتّال الكلابي: [من الكامل]
وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْما تَفْهَمُوا ... وَوَحَيْتُ وَحْياً لَيْسَ بِالمُرْتَابِ
أي لقد بينت لكم. يراجع، القالي: الأمالي، قدم له محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا، مج ١، ج١ ص٤.
(٤) ابن منظور: لسان العرب، مج ١٣ ص٣٨٠، مادة [لحن].

قضاء حاجة في نفوسهم. ولم يكن ما يفعلونه شططاً، ويخبطونه خبطاً، بل هو سلوك صائب؛ لأن بين الحب والإعراب مناسبة تلازم وتناظر، ولم تأتِ من فراغ وهزل وهذر، ترجحها دعامتان.

١ ـ مكانه الحب في النفس مكانة عظيمة، والنفس التي لم يعتمر قلبها بالحب نفس ميته، توقف نبض قلبها فأضحى كأنه قُدَّ من صخر، يصدقه ما يشاع من قول: [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ ولَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى　　فكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمداً

ومقام النحو عظيم، وهو مقدم على سائر العلوم، يشهد له قولهم: [من الكامل]

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ　　وَالمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذا لَمْ يَلْحَنِ
وإذا طَلَبْتَ مِنَ العلومِ أَجَلَّهَا　　فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ[١]

٢ ـ الترفع عن الألفاظ الخسيسة إلى المعاني النفيسة التي تناسب عاطفة الحب السامية. ولا يتحقق ذلك إلا بالإستعارة من علم النحو[٢] وتضمين أصوله ومبادئه مقاصد الحب؛ فتحجب وتتوارى السخافة بما في الأحكام من جلالة ولطافة. من أمثلته ما جاء في وَطْء البكر وحلاوته ولذاذته إذا قيس بوَطء الثيب. قالت عائشة (رضي): يا رسول الله لو مررت بشجرة قد رُعِيَ منها وشجرة لم يُرْعَ منها ففي أيهما كنت تُرْتِع بعيرك؟ فقال: في التي لم يُرْعَ منها، تعني أنه لم يتزوج بكراً غيرها[٣]. وهي وإن لم تستعمل حكماً نحويًا إلا أنها ورّت بكلامها، وهو من تقنيات اللغة، يشبه إلى حدّ بعيد تضمين كلام الحب أحكام الإعراب.

ارتقى أسلوب استعمال قضايا النحو وأصوله في التورية عن مسألة العشق

---

(١) المبرد: الكامل، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، مج ٢ ص٥٣٦.

(٢) إن في التزام قوانين النحو ترفعاً عن الخسيس، تظهر القضية في اعتبارهم اللحن قبحاً في الهيئة واللسان. كان يقال: «اللحن في المنطق أقبح من آثار الجُدَري في الوجه». الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط٤، لا. تا، مج ١، ج٢ ص٢١٦.

(٣) ينظر، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٧٤.

وما فيها من وصال واتّصال، فبات سلوكاً لغوياً في ميدان الحب[١] على مختلف اتجاهاته.

بعد سرد الوقائع الأدلة والثوابت

إن الحبَّ يرتبط بالإعراب ارتباطاً وثيقاً. وهي إشكالية لا نقولها عبثاً؛ فيصحَ فينا أننا نخبط خبط عشواء، ونصيد صيد ظلماء، بل نتكىء فيها على الدليل، ونتورك السند الأصيل. وهو ما يدفعنا إلى اتباع ما ذكرناه بالأصول.

١ ـ مادة «إعراب» تحتضن في أصولها ودلالتها معنى الحب. جاء في أحد معاني «عرب»: «والعرُوب» من النساء المحبة لزوجها المظهرة له ذلك»[٢]. أي المظهره له الحب. كأن النحاة قد أشتقوا من قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٣] معنى الإعراب الذي يُحَسّن الكلام ويجعله مقبولاً إلى النفوس محبباً إليها. وذلك يجعل الحركات في أواخر الكلمات دالة على المعاني، وهذا من أحسن ما عمل في الكلام وأخصره. وحُسْن الكلام[٤] المعرب تدعمه الأدلة. قال الجاحظ: «وأنا أقول: إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق، ولا ألذُّ في الإسماع، ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء»[٥].

٢ ـ الإعراب في حقيقته الإفصاح والبيان، ويكون بتغيّر أواخر الكلمات عند دخول العوامل عليها. والتغيير إنما قصد به في الأصل الدلالة على المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة... فيصح أن يكون النحويون

---

(١) يراجع أمثلة منها، ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص٢٠ وغيرها.

(٢) ابن دريد: الجمهرة، دار صادر، بيروت، لا. تا، ج١ ص٢٦٧، مادة [برع].

(٣) سورة الواقعة، الآية ٣٧. جاء في تفسيرها: عَرُوبة مُعْربة بحالها عن عِفّتها ومحبة زوجها. ينظر، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٣٢٨.

(٤) للكلام طعم قد يكون حسناً لذيذاً إن أصاب البيان، وكريهاً إن فارقه إلى اللحن. تبرز الحقيقة في قول بعض البلغاء: «إني لأجد لِلّحن في فمي سُهُوكة كسهوكة اللحم». يراجع، المظفر بن الفضل العلوي: نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق د. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ص ١٣.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، مج ١، ج١ ص١٤٥.

نقلوه من «أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها؛ لأن هذه الحركات وُضعت في الأصل لفهم هذه المعاني»(١). والحب في حقيقته أيضاً إعراب عن النفس، يشد الأزر قول الرسول ﷺ في مقام الزواج (وهو اقتران حبيبين في الأعم الأغلب): «الثيّب تُعْرِب عن نفسها، والبكر رضاها صمتها»(٢)، أي تبين. وكذلك إعراب الكلمات البيان عن معانيها. فالحبُّ تعبير عن خفايا القلب، والإعراب عن معاني الكلمات النحوية، يوضحه قول ابن المعتز: «البيان ترجمان القلوب، وصَيْقَل العقول، ومُجَلّي الشبهة وموجب الحجة، والحاكم عند اختلاف الظنون، والمفرّق بين الشك واليقين... وخير البيان ما كان مصرِّحاً عن المعنى؛ ليُسْرِعَ إلى الفهم تلقيه، وموجزاً ليخفّ على اللفظ تعاطيه»(٣).

٣ ـ الحركة الإعرابية «أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع»(٤). وشبيه به حال الحب الذي هو نبضة ظاهرة أو مقدرة يجلبها الحبيب عند وقوع نظر المحب عليه، أو سماع ذكره وما يتعلق بصلة إليه. فالتغيير الواقع على القلب بسبب العوامل الداخلة عليه أشبه بالتغيير في أواخر الكلم اللسانية، بسبب العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً، وهذه عوامل لسانية، وتلك عوامل قلبية(٥). ولا أدل على ذلك من وصف ما جاء في علامات المحبة وشواهدها، قالوا: «... ومنها البَهَتُ والروعة التي تحصل عند مواجهة الحبيب أو عند سماع ذكره ولا سيما إذا

---

(١) ابن أبي الربيع: البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة د. عياد عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، السفر الأول ص١٧٢.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا، ج ص٦٠٢، كتاب النكاح، باب استئمار البكر والثيب.

(٣) الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٤، لا. تا، مج ١، ج١ ص١٤٠.

(٤) ابن هشام: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١٠، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، ص٣٣.

(٥) يراجع تفصيل ذلك، الإمام القشيري: نحو القلوب الصغير، قدم له وحققه وعلق عليه د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، ص١٢٨، حاشية (٧٦).

رآه فجأة أو طلع بغتةً . . . »[١]. وقد أكثر الشعراء من ذكر الإضطراب والحركة اللتين تعتريان الحبيب عند تناهي منظره إلى محبوبه. يشهد لهما قول الشاعر: [من الطويل]

فَـمَـا هُـوَ إِلَّا أَنْ يَـرَاهَـا فُـجَـاءَةً فتصطك رِجْلَاهُ وَيَسْقُطَ لِلجَنْبِ[٢]

وربما اضطرب وظهرت حركة إعراب حبّه عند سماع اسمها، أو اللهج بذكرها، يصوره قول الشاعر: [من الطويل]

وإنّـي لَـتَـعْـرُونـي لـذِكْـراكِ هِـزَّةٌ كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القطرُ[٣]

وبالشكل المذكور يتناظر عمل العاملين: عامل الإعراب وعامل الحب، فينتج عنها علامة واحدة في الشكل والفعل.

٤ ـ ميدان عمل الإعراب الألفاظ والكلمات، وهي تنتج في القلب؛ لأن الكلام الحقيقي في الفؤاد، كما هو شأن الحب. وتسمية ما يقوم في الفؤاد كلاماً واقع تدعمه الأدلة. قال الأخطل: [من الكامل]

لا يُـعْـجِـبْـكَ مِـنْ خَـطِـيـب خُـطْـبَـةٌ حـتـى يـكـونَ مَـعَ الـكَـلَامِ أَصـيـلَا
إِنَّ الـكَـلَامَ لَـفِـي الـفُـؤَادِ، وإنَّـمـا جُـعِـلَ الـلِّـسَـانُ عَـلَـى الـفُـؤَادِ دَلـيـلا[٤]

ونظراً لترابط الفؤاد والكلام، تلازم الكلام والفكر، ولم ينفصل أحدهما عن الآخر[٥]. رأى العلماء «أن لا وجود للأفكار العارية المتحررة من أجهزة

---

(١) ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٩٣.

(٢) ينظر، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٩٤.

(٣) يراجع، ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص٢٢٩، وابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج٢ ص٢٠.

(٤) الأخطل: الديوان، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، ط٤، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، ص٥٦٠.

(٥) وقف علماء اللغة من موضوع ارتباطها بالفكر مواقف متعارضة، فاعتبر السلوكيون أن اللغة هي الكلام، كما اعتبروا التفكير كلاماً داخلياً منطوقاً . . . على حين أن دوسوسير (De saussure) وتشومسكي (chomsky) أثبتا أن اللغة نظام تجريدي يشارك فيه أفراد البيئة الواحدة. أما الكلام الفعلي فهو من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة مهما كان هنالك مظاهر لا تقل أهميته عن الكلام كالفكر مثلاً الذي يستفيد حتماً فائدة كبيرة جداً من ذلك النظام الذي يمثل في اللغة . . . ينظر، د. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٩، رمضان/ شوال ١٣٩٨هـ، سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨م، ص٢١٦.

التعبير. . . فحقيقة الفكرة تظهر في التعبير، ولا وجود أيضاً لأفكار دون التلفظ بها»[١]. وتعزز الترابط من جانب آخر عملية نظم الكلام في جمل. فهي تتلازم مع النفس وتصدر عنها، بعد أن تلتزم بأحكام الإعراب. توضح الإشكالية آلية النظم. قال عبد القاهر الجرجاني: «. . . وأن الكلم تترتب في النطق، بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتاً وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك. . .»[٢].

٥ ـ مصطلحات النحو تحمل في أسمائها مضامين الحب، وصدى العشق وصوت الصب. من نماذجها مصطلح «الأجنبي» في قولهم الفصل بالأجنبي، على نحو ما جاء في باب الإضافة. «زعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المتضايفين إلا في الشعر. والحق أن مسائل الفصل سبع، منها ثلاث جائز في السّعة والأربع الباقية تختص بالشعر، إحداها: الفصل بالأجنبي. . .»[٣]. ومصطلح «الإقتران». قالوا في باب «أفعال المقاربة»: «. . . إنّ ما دلّ على الشروع في الفعل لا يجوز اقتران خبره بـ «أنْ» لما بينه وبين «أن» من المنافاة. . .»[٤]. ومصطلح «الجواز». من أمثلته ما ورد في «باب النواسخ»: «وتقديم أخبارهن جائز، بدليل: «أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ»[٥]. . . واحتج المجيز بنحو قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ . . .﴾[٦]. ومصطلح «التوابع» التي تظهر فيها آية الحب لاشتمالها على عنصرين تابع ومتبوع، مُحِبّ ومُحَبّ. يبرز ما نقوله تعريفهم العطف. «عطف البيان هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف. . .»[٧]. وهي بجملتها تتطابق مع الحب، وما قد ينتج عنه من زواج «اقتران»، وما قد يحدث من فصل «طلاق»، وتزوج بغير زوجها، «أجنبي». . . وسواها.

---

(١) Paul Chauchard: Le Langage et La pensée, Press univesitaires de France, 1 édition, 1976, p: 6

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٤٦.

(٣) يراجع، ابن هشام: أوضح المسالك. . .، ج٣ ص١٧٧ و١٨٥.

(٤) ينظر، ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج١ ص٣٣٧.

(٥) سورة سبأ، الآية ٤٠.

(٦) سورة هود، الآية ٨.

(٧) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج٢ ص٢١٨.

ويتجلى الحب بأبهى حلته منعكساً في مصطلحات النحو، عند الوصول إلى الغاية منه ببيت الزوجية، الذي يقضي بالجماع والإجتماع. وصف النحاة اجتماع الإضافة والتنوين وصفاً يداني إلى حدّ كبير الوصف بين حبيبين جمع قلبهما اقترانهما بزواج. قال ابن هشام: «ولا تُجامعُ الإضافة تنويناً ولا نوناً تالية للإعراب مطلقاً»[(١)].

وبالجملة تعتبر مصطلحات علم من العلوم قوالب يحفظ فيها العِلْم أصوله ومبادئه وعمله. وبهذا يمتاز كل عِلم بمصطلحات ينفرد بها دون سواه. فللفلسفة ـ على سبيل المثال ـ مصطلحاتها التي جمعها علماؤها، منها مصنف الآمدي «الكتاب المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين»، وللصوفية مصطلحاتها منها كتاب «الحدود والرسوم» لإخوان الصفا. وعندما تتلاقى المصطلحات، فإنه يعني تلاقي الأصول وتناظر المبادىء. وقد تظهر توأمية مصطلحات النحو والحب من خلال تسمية الخليل مصطلح «النَّفْس» في قسمة الألف. جاء في كتاب الجمل: «وأما ألف النفس فهي مفتوحة أبداً فيما كان ياء يفعل منها مفتوحة، نحو قولك: أنا أَضْربُ...»[(٢)]. ومثله قول ابن مالك: [من الرجز]

وَقَبْلَ يَا النَّفْسِ مَعَ الفِعْلِ الْتُزِمْ نُونُ وِقَايَةٍ و «وَلَيْسِي» قَدْ نُظِمْ[(٣)]

والنفس في مصطلح النحو تطابق النفس العاشقة الولهانة.

٦ ـ الحبّ ذو مذاق عذب لمن استطاع ارتشاف شهده، وطعم مرٌ لمن حرم شربه[(٤)]. وليس الأمر ببعيد عن الإعراب وأحكامه. إنه يعطي الكلمة مذاقاً طيّباً، إن أحسن الناطق ضبطها على حسب ما يقتضيه موقعها، وما الحركات الإعرابية من ضمة وكسرة وفتحة إلا إيقاعات موسيقية توشي اللفظة، وتنمّ عن معنى. يوضح ذلك ما جرى بين الحسن وبعضهم في قضية إمام يلحن. قال رجل للحسن: «إن لنا إماماً يلحن، قال: أميطوه عنكم فإن

---

(١) ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج٢ ص٢٢٤.
(٢) الخليل بن أحمد: كتاب الجمل في النحو، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٢٣٩.
(٣) ابن مالك: الألفية، ص١٣.
(٤) قال الشاعر مصوراً ما نراه: [من الوافر]

=

الإعراب حِلْيَةُ الكلام»[1]. ومن نطق بالكلم أحسّ بالطعم، ومنْ شنف سمعه اللحن، شعر بنشاز النغم. قال أبو الأسود: إنّي لأجدُ للَّحْن غمزاً كغمز اللحم»[2].

وجملة القول يثبت المحِبُ إنسانيته فيشعر بالسرور ويغمره الحبور بما يذوقه من طعم الحب. مثله كمثل النحو (الإعراب) الذي يدخل الكلام فيصلحه، ويجعل طعمه مستساغاً تهفو إليه النفوس، وتستفيد منه الأبدان. قالوا في طعم النحو حملاً على طعم الحب: «النحو في الكلام كالملح في الطعام». وفسره الجرجاني، بقوله: «إذ المعنى أن الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص كما لا يجدي الطعام ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه وهي التغذية ما لم يصلح بالملح»[3]. ويتحد الإعراب في الكلام فيطيب، كما تتحد الأنفس بالحب، فتغذو القلوب بالحبيب.

على ضوء ما تقدم، واستناداً إلى الدليل والأصول، أضحت المشاكلة بين الإعراب والحبّ راجحة واضحة. وبرجحانها سقط وصفها بالحدس والتخمين، وحازت ـ إلى حدّ ما ـ صفة اليقين.

وخلاصة القول

نخلص القول إلى أن النحو العربي رفد الحب: مبادئه وأصوله وشعره... بأدلة وأساليب مكّنته بواسطتها الترفع عن الدنايا، وتحقيق الأماني والنوايا. فالحجة المنطقية تقنع، وبالإقناع يحصل صاحبها على مبتغاه. يصل

= شَرِبْتُ الحبَّ كَأساً بعدَ كَأسٍ ... فَمَا نَفِدَ الشَّرَابُ وَمَا رُوِيتُ

يراجع، ابن الدباغ: كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب ص٦٢.

(١) ينظر، ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ج٢ ص٤٧٩.

(٢) يراجع، ابن قتيبة: عيون الأخبار، إعادة طبعة دار الكتاب العربي، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م، مج ١، ج٢ ص١٥٨.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، صححها... وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٥٥.

الحبيب عبر أقنية النحو إلى حبيبه؛ فيشعر بصبوة، ويوسم بحصافة الرأي وسعة الباع؛ فينهض من وهدة إلى ربوة.

ولم يكن الأمر وقفاً على الحب ـ وهو من أشدّ فنون القول ترابطاً بالإعراب ـ بل تخطاه إلى فنون شعرية أخرى، كالهجاء وغيره. من شواهده التي تدور في رحاب الحب، هجاء من يدّعي حبّ حبيبة، وهي ليست منه بشيء، على شاكلة ما جاء في قول أبي نواس وهو يهجو أشجع السلمي[١]: [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ يدّعِي سُلَيْمَى سَفَاهاً ... لَسْتَ مِنْهَا ولا قُلامَةَ ظُفْرِ

إنَّمَا أنْتَ مِنْ سُلَيْمَى كَوَاوٍ ... أُلْحِقَتْ في الهِجَاءِ ظُلْماً بِعَمْرِو[٢]

وفيه يريد القول: إنه لا يساوي شيئاً من سُلَيْمَى، وإنما هو يدّعي أدعاءً، قياساً على «واو» عمرو التي ألحقت به للتمييز بينه وبين الاسم «عمر». وإلحاقها به واوٍ لأنه إسقاط أكثر منه إثبات[٣].

وفي الأطر نفسها التي تلامس الحب من غير جهة، هجاؤهم ولد الحب غير الشرعي، وعدم إثبات أصله. روي أن بعض الشعراء هجا أبا عثمان المازني بقول: [من مجزوء الرمل]

وَفَتًى مِنْ مَازِنٍ ... سَادَ أَهْلَ البَصْرَةْ

أُمُّهُ مَعْرِفَةٌ ... وَأَبُوهُ نَكِرَةْ؟[٤]

---

(١) هو أشجع بن عمرو السُلَمي، من بني سُليم من قيس عيلان، كنيته أبو الوليد. شاعر فحل، معاصر لبشار بن برد. نشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة واستقر ببغداد. اتصل بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة. توفي نحو سنة ١٩٥ هـ/ ٨١١م. ينظر، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج٢ ص ٨٨٥.

(٢) أبو نواس: الديوان، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص٥٤٥.

(٣) قالوا في زيادة الواو: فأما الواو فإنها تزاد في «عمرو» في حال الرفع والجر ليفرق بها بينه وبين عُمر... ولا تثبت هذه الواو في القافية... فإن نصب «عمرو» ونوّن أو ثني أو صُغر أو أضيف إلى مضمر لم يجز إثبات الواو فيه.. يراجع، ابن درستويه: كتاب الكتّاب، ص٨٦.

(٤) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص١٠٦، وابن الجوزي: كتاب الأذكياء، ص١٧٦.

فقد ترفع عن ذكر أنه ولد زنا، أو أن أباه غير معروف، بٱستعمال مصطلحين نحويين يفيدان المقصود، وهما «المعرفة» و «النكرة».

ومثله قولهم في العتاب، على نحو قول أبي سعيد الرُّستَمِي(١): [من الطويل]

أفِي الحقِّ أنْ يُعْطَى ثَلاثُونَ شَاعِراً ... ويُحْرَمَ ما دُونَ الرِّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي
كَمَا سَامَحُوا عَمْراً بِوَاوٍ زِيَادَةٍ ... وضُويِقَ «بِسمِ اللَّهِ» في ألفِ الوَصْلِ(٢)

إنّ النحو بمسائله وأحكامه رفد القصيدة العربية بصُوَر وتشبيهات لطيفة جمّة، برزت أحياناً بشكل تورية حين يعزُّ التصريح باللفظ القبيح، وحيناً آخر بصورة تشبيهات لطيفة أغنت عن التصريحات السخيفة. والمعطيات التي بين أيدينا تجعلنا ننفذ إلى القول: إن الأديب والناقد والشاعر والمحِبّ والحبيب... يجب على كل واحد منهم الإلمام بمبادىء النحو، لا لضبط كلامه وجودة أسلوبه(٣) ـ فهذه قضية مسلمة بها ومفروغ منها ـ ولكن ليستجيد بعض الصور، ويفهم ما يستعمل من كنايات وتوريات، فلا يقف مبهوتاً أمام معنى ضللته مسألة نحوية تضمنها، ومكتوف الأيدي حيال صورة رسمتها قضية إعرابية. وليس الإقتباس من النحو بشيء منافٍ للواقع، بل هو حقيقة ويقين؛ لأن النحو ارتسمت على صفحته أكثر العلوم، واستخدم في أصوله جلّ المعارف والفنون. وكلمة الجرمي تكاد تكون المَعْلَم والبيّنة على استخدام أصول النحو

---

(١) هو محمد بن محمد بن الحسن... بن رستم، كنيته أبو سعيد ونسبه المعروف به أبو سعيد الرستمي. من أبناء أصبهان وأهل بيوتاتها، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا. كان الصاحب يقول عنه: هو أشعر أهل عصره. يراجع، الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ج٣ ص٣٥٥.

(٢) ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ص١٢، والحصري: زهر الآداب، مج ٢، ج٣ ص٧٧٦، وفي المصدر الأول وردت «مزيدة» بدل «زيادة».

(٣) كانت النظرة إلى النحو قاصرة ـ ولما تزل ـ إذ فهمت الغاية منه صون اللسان وضبط البنان عن الخطأ واللحن، يشهد لذلك قول الحسن البصري: «تعلموا العِلْم للأديان، والنحو للسان والطب للأبدان». ينظر، الحصري: زهر الآداب، مج ٢، ج٣ ص٧٧٥. وهو هدف آني معروف لا يمكن مسّ حرمته. ولكن ـ إضافة إليه ـ يجب أن نبحر في النحو وأصوله إلى رحاب أوسع تحاكي رحابة التطور، وتتسع للتجدد، ففيه كثير من الأصول وهو المعتمد والمعول لقضايا المجتمع... إلى أبعد حدود.

في غير عِلْم. روي عن الجَرْمِيّ قوله: «أنا مذ ثلاثون أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه... وذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يُتَعَلَّم منه النظر والتفتيش»[1]. ومعلوم مقام كتاب سيبويه في النحو العربي، إذ هو أسه وأصوله.

بات تناظر الحب والإعراب بيّناً، لا تشوبه شائبه، ولا يكدر من صفوه شائنة. يفترض بعدما اتضحت علاقة النحو بغيره من العلوم والفنون... الأخذ بأهدابه؛ ليسلم الناقد من الزلل، ويترفع الشاعر عن الخطل، ويفهم الحبيب همس حبيبه وإشارة لحظه... فيرتقي تواصله ويعف لسانه... فيسمو الحب، ويعود ليكون ربيع القلب.

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٤م، ص٧٥.

الفصل الثاني

علامات إعراب الحب

- حركات الإعراب تناظر خفقان القلوب -

مدخل

لكل شيء علامة تعرف به، وإشارة تدل عليه. فللمرض علاماته (أعراضه) يعتمد عليها الطبيب في تشخيص الداء ووصف الدواء. ولتقلب الجو إشاراته، يسترشد بها العاملون في المراصد الجوية... وبواسطة الإشارة استطاع الإنسان الإهتداء إلى جلية الأمور، وحقيقة الظواهر. وسط الصحاري، لا يقوى العابر لها تلمس الطريق ألا عبر صُوّى يتخذها أو معالم طبيعية يعرفها عبرها. قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾(١).

والعلامة تشهد على تطور الحياة، وتصور اختلافها من زمن إلى آخر. فقد تكون مادية ظاهرة طبيعية، يوضحها تفسير الآية المذكورة. قال البيضاوي: «معالم يستدل بها على السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك. بالليل في البراري والبحار... ولعلّ الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالإهتداء في مسايرهم بالنجوم...»(٢). وقد تكون مستحدثة غير ظاهرة، وذلك يعود إلى طبيعة المَعْلَم. ففي الطريق، خلال النهار، تنصب الصُّوى فيهتدي بها الإنسان. وهي علامات مختلفة، تحدثنا بها ما آختزنته مادة [صوى] في تضاعيفها. «الصُّوَى والأصواء الأعلام المنصوبة المرتفعة في غَلْظٍ... قال أبو عمرو: الصُّوى أعلام من حجارة منصوبة في الفَيَافِي والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طَرَفَيْها...»(٣). أما اليوم فقد أصاب العلامات تطور ملحوظ بفضل آرتقاء الصناعة والتقدم التكنولوجي؛ فأصبحت

---

(١) سورة النحل، الآية ١٦.

(٢) البيضاوي: تفسير البيضاوي المسمّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مج ١ ص٥٤٠.

(٣) ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مج ١٤ ص٤٧٢، مادة [صوي].

الإشارات ضوئية من جهة ولوحات تحمل معلومات من جهة أخرى... وسواهما. وهي على اختلاف نوعها معالم يهتدي بها الناس في سيرهم وسفرهم.

وتتباين الإشارات والعلامات بآختلاف الغرض والغاية من ناحية ثانية. فوقد العربي النار في رؤوس الأعلام علامة يسترشد بها الضيفان في سفرهم، وبخاصة في الليل؛ لأن في النار إضاءة تبعث على الهدى، لا تشاطرها فيها إشارة عداها. من شواهد استعمالهم النار علامة للضيفان ما جاء في قول الأخطل: [من البسيط]

قَوْمٌ إذَا ٱسْتَنْبَحَ الأَضْيَافُ كَلْبَهُمُ قَالُوا لِأُمِّهِمُ بُولِي عَلَى النَّارِ[1]

ولأهمية العلامة في الحياة، اعتبر البيت من أهجى الأبيات؛ لما في رمز النار من دلالة على الكرم وسخاء النفس والشيم. قال الأخطل: «... لقد قلتُ بيتاً ما أعرفُ في الدنيا أهجى منه...»[2]، وذكر البيت.

وتتعدى العلامة الماديات إلى المعنويات، يتمثل ذلك في الأمور الإعتقادية والفكرية. ومعالم الفكر يتحراها الإنسان ليصل إليها، ويصطلي بنورها؛ فيسمّى سلوكه «الإهتداء». وهو: «يختص بما يتحراه الإنسان عن طريق الإختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية... ويقال المُهْتَدِي لمن يَقْتَدِي بعَالِم...»[3].

وتثير العلامات فضول الإنسان، فَيَجِدُ باحثاً عنها في ظواهر الأشياء، وما يزال يدرسها رغبة منه في الوصول إلى حقيقة الشيء، والتنبىء به من خلال علاماته، بعد تقنينها، بحيث تنطبق على مثيلاتها. وبهذا النهج توصل الإنسان إلى مبادىء العلوم. يشهد له كيفية إهتداء العرب إلى علم الأحوال الجوية. روى صاعد الأندلسي في طبقاته أنه «لم يكن فيهم ـ أي العرب ـ عالم مذكور ولا حكيم معروف. وأما أهل الوبر منهم قطان الصحارى وعمّار الفلوات وكانوا

(١) الأصفهاني: الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، لا. تا، مج ٨ ص٣٢٠.

(٢) يراجع، المرزباني: الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٢٤.

(٣) يراجع، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٥٤١.

يعيشون من ألبان الإبل ولحومها وكانوا زمان النجعة ووقت التبدي يراعون جهات إيماض البروق ومنشإ السحاب وجلجلة الرعد فيؤمونها منتجعين لمنابت الكلأ. . .»[(١)]. وبواسطة «جلجلة الرعد» و «منشأ السحاب» و «إيماء البروق»، كانوا يعرفون دخول فصل الشتاء، فصل الإنبات. وهي في حقيقتها علامات، وإشارات عرفوا بواسطتها أحوال الجو، ودخول فصل وانتهاء آخر. . . وعن طريق العلامات تُعرفُ حقيقة المَعْلَم. وكذلك حال علماء العربية ونحاتها، الذين كانوا يتلقون النصوص من أفواه فصحاء العرب[(٢)]، ثم يعمدون إلى إستقرائها لاستنباط القاعدة، من خلال تقصي سلوك المفردات. . . فوجدوا الفاعل مرفوعاً وله علامته، والمفعول منصوباً وله علامته. . . . وعلى شاكلة علم العربية، وُجدت علامات للعلوم، وإشارات للظواهر والحالات. . . فهل للحب علامة يعرف بها؟؟ وهل تناظر علامة الإعراب في علم النحو العربي؟؟.

علامات إعراب الحب

قبل الخوض في تقنين علامات الحب المستنبطة من حالات العشق والوجد المتباينة في التراث العربي. . . لابدّ من التعرف إلى علامات الإعراب في النحو العربي.

علامات الإعراب

يدخل الإعراب الأسماء. . ليظهر المعاني التي تعتورها، والحالات التي تكون فيها. ولم يكن التغيير عشوائياً عبثيّاً، بل يخضع للمعنى. أوضح الزجاجي سبب دخول الإعراب الكلام، قال: «. . . إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على المعاني، بل كانت مشتركة، جُعلت حركات الأعراب فيها تُنبِىء عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيدٌ عمراً فدلوا برفع زيد على أن

(١) صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١١٤.

(٢) يصوره ردّ الخليل على الكسائي، حين سأله: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونَجْد وتِهامة، فخرج وقد أنفد خمس عشرة قِنّينة حبراً في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ. . . يراجع، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢ ص١٦٣.

الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به. وقالوا ضُرب زيدٌ فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على أن الفعل ما لم يُسَمَّ فاعله وأن المفعول قد ناب منابه... وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم، ويقدّموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني»(١).

اختلفت علامة الإعراب تبعاً لاختلاف المعنى الذي يعتور الاسم؛ فكانت باعتبار شكلها قسمين: قسم يعرب بالحركات(٢) وقسم يعرب بالحروف(٣).

ميّز النحاة في مضامين الحركات أربعة أنواع، هي: رفع ونصب في اسم وفعل، نحو: «زيدٌ يقومُ»، و «إن زيداً لن يقومَ». وجر في اسم، نحو «بزيدٍ»، وجَزْم في فعل، نحو: «لم يَقُمْ»، فيرفع بضمة وينصب بفتحة ويُجَرّ بكسرة، ويجزم بحذف حركة.

وفي تضاعيف الحروف، حدّدوا مواضع الإعراب فيها، واختلافها بين حالة إعرابية وأخرى. وقد جمعها ابن مالك في قوله: [من الرجز]

وارْفَعْ بواوٍ وانْصِبَنَّ بالألف ... واجْرُرْ بياء ما مِنَ الأسْمَا أَصِفْ

بالألفِ ارْفَعِ المُثَنّى وكِلا ... إذَا بِمُضْمَرٍ مُضَافاً وُصِلا

وارْفَعْ بِوَاوٍ وبِيَا اجْرُرْ وانْصِبِ ... سَالِمَ جَمْعِ عَامِرٍ ومُذْنِبِ

واجْعَلْ لنَحْوِ يَفْعَلَانِ النُّونَا ... رَفْعاً وتَدْعِينَ وتَسْأَلُونَا

وأيُّ فِعْلٍ آخِرٌ مِنْهُ أَلِفْ ... أوْ وَاوٌ أوْ يَاءٌ فَمُعْتَلاً عُرِفْ

والمراد بها الأسماء الستة التي ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجرّ بالياء،

(١) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٦٩، ٧٠.

(٢) المعرب بالحركات أربعة أنواع: الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء. ينظر، ابن هشام: قطر الندى وبلّ الصدى، ج١ ص٣٦.

(٣) المعرب بالحروف ـ على حدّ قول ابن هشام ـ أربعة أنواع: المثنى والملحق به، وجمع المذكر السالم والملحق به والأسماء الخمسة والأفعال الخمسة. يراجع، ابن هشام: قطر الندى وبلّ الصدى، ج١ ص٣٦، وقد أسقط ابن هشام الفعل المعتل الآخر، كما اعتبر الأسماء خمسة بدل الستة.

ثم المثنى وجمع المذكر السالم والأفعال الخمسة والفعل المعتل الآخر.

إنها علامات الإعراب التي تدل في حذفها وإثباتها وتبدل حركاتها على المعاني المتفاوتة. فهل تدخل علامات الإعراب قلب الصبّ المحب؟؟ ما علامات الحب؟؟ كيف تظهر؟ متى تُقدّر؟؟

علامات الحبّ انعكاس ضربات القلب

علامات إعراب الحب أعراض يُعْرف بها المحِبُّ، ودلائل ظاهرة أو مقدّرة في نفسه، يمكن على ضوئها الإهتداء إلى حقيقة شعوره. وهي وسيلة معرفية تفضل اللسان؛ لصدقها وطبعيتها. وعلامات الحب[1] شكلية تظهر في العاشق الولهان، كما تظهر علامة الإعراب على سطح اللفظة (آخرها)[2]، فيعرف السامع أو القارىء المعنى بواسطتها، حالها كحال أعراض الحب، التي تنبىء عن شعور صاحبها تجاه الآخرين. نعدّ من علامات الحب الثّرة أبرزها، وهي على ما يلي.

١ ـ تبدّل اللون

ينم اللون عن معانٍ تكمن في النفس، وخفايا يحضنها الحس. وتغيّر لون الوجه، يدل على تغيّر في المواقف، على شاكلة ذكر مَنْ يحب، أو رؤيته لها. من الألوان التي تطالعنا بها أعراض الحب لون أصفرار العاشق. وهو يحدث نتيجة «انفراج القلب له (لمحبوبه)، ومبادرته إلى تلقّيهِ فيهرب الدم منه فيبرد ويُرْعد ويحدث الإصفرار...»[3].

وفي المقابل يعلو اللون الأحمر[4] وجه المعشوق بسبب الخجل الذي يعتريه.

---

(١) يقوى ما نذهب إليه تقسيم العلماء الحب إلى أجناس، أولها: العلاقة، وهي شيء يحد به النظر والسماع، فتعرض للبال وتخطر بالفكر، فيرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع واللجاج وإدمان الذكر، ثم يقوى ذلك فيصير حباً. يراجع، أبو إسحاق الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص٧٨.

(٢) ذهب العلماء مذاهب شتى في علة وقوع الإعراب في آخر الاسم، منها: الإعراب يدخل في الاسم لمعنى، فوجب أن يلفظ به بكماله، ثم يؤتى بالإعراب في آخر. ينظر، السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص ١٨١، ١٨٢.

(٣) ينظر، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٩٤.

(٤) وقد تتأتى الحمرة من الخجل في مواقف الحب الأخرى. ذكر في وصف جارية: إن أردتها اشْتَهَتْ، أو تركتها أنتهت، تحملقُ عيناها، وتحمرُّ وجنتاها وتذبذب شفتاها، وتبادر الوثبة. يراجع، السيوطي: شقائق الاترنج في رقائق الغنج، ص ٣٧ ـ ٣٨.

وفي مجموعة العاشقين يرمز لكل منها بلون يعرف به. فالمحِبُّ يَصْفَرُّ، والمحبوب يَحْمَرّ، أنشد محمد بن ياقوت لنفسه موضحاً المقصد: [من المنسرح]

يَصْفَرُّ لَوْنِي إذَا تَأَمَّلَهُ ... طَرْفِي وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ خَجِلاً
حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي بِوَجْنَتِهِ ... مِنْ دَمِ وَجْهِي إِلَيْهِ قَدْ نُقِلَا[١]

وقد فسر العلماء سبب التحوّل اللوني، فكانت الحمرة والصفرة من خجل ووجل، في ميدان اجتماع العاشق بالمعشوق، وطلب النيل منه وٱرتشاف رضاب وصاله، على نحو ما جاء في قول الشاعر: [من البسيط]

سَأَلْتُهُ قُبْلَةً مِنْ فِيهِ عَلَى عَجَلٍ ... فَٱحْمَرَّ من خَجَلٍ وٱصفرَّ مِنْ وَجَلِ
وٱعْتَلَّ من بَيْنِ إسْعَافٍ يُرَقِّقُهُ ... وبَيْنَ مَنْعٍ تَمَادَى فيهِ بالعِلَلِ[٢]

وقد فَسَّرت الأطباءُ سببَ التحوّل إلى اللون الأحمر، قالوا: «وأما ٱحمرار وجه المعشوق فمن الخجل، والخجل عرض من حركة تامور[٣] القلب، فتحيل الدم وتلطفه، فيظهر في أرق مكان في الوجه، وذلك عند معالجة الحرارة العرضية، ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص، حتى ينتهي إلى تحت الرأس، فيمنعه الحاجز من النفوذ، فيهبط إلى الوجه، فيحمر الوجه»[٤].

أثرت علامتا الحب الظاهرتان في العاشق والمعشوق على مفاهيم الحب

---

(١) الحصري: نُور الطرف ونَوْر الظرف، ص١٩٨.

(٢) أبو إسحاق الحصري: المصون في سِرّ الهوى المكنون، دراسة وشرح د. النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٧٥.

(٣) التأمور الوعاء والتأمور القلب، يقال: اجعل هذا الأمر في تأمورك. المعجم الوسيط، ج١ ص٢٦، مادة [أمر].

(٤) ابن أبي حجلة التلمساني: ديوان الصبابة، ص٩٩. وقد فسر داود الأنطاكي سبب التبدل إلى اللون الأحمر، قال: «... إن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة إلا أنه لا يطفئها كل هواء إذا تقرر هذا وجمع إلى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة إلى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واشٍ وسرعة تفريق واليأس الموجب لإخماد الحرارة أو جذبها إلى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل». داود الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج٢ ص٤٠٢.

ومقاييس الجمال. ففي رحاب الجمال اعتبر اللون الأحمر احدى علاماته، وأصلاً من أصوله. جاء في أمثالهم: «الحُسْنُ أحمرُ»(١). فأنتقلت الألوان من معانيها الطبيعية (علامة للحب) إلى أخرى صناعية.

وألقت ألوان الحب حمولتها في صفحة الغزل، فرفدته بصورٍ جديدة، صبغت فيها الحبيبة الجميلة بلون يريح النفس، ويؤنس الحس واللحاظ. أنشد الشاعر: [من الطويل]

هِجَانٌ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ في بَيَاضِهَا ... تَرُوقُ به العينين والحُسْنُ أحمرُ(٢)

ونقلوا حسن «الأحمر» إلى غير أعضاء جسم الحبيبة، فوصفوا به الحلي والجلابيب... يؤيده قول المتنبي: [من البسيط]

مِنَ الجآذِرِ في زِيِّ الأعَارِيبِ ... حُمْرُ الحُلَى والمَطَايَا والجَلَابِيبِ(٣)

واستفادت الحضارة من اللون الأحمر، علامة إعراب المعشوق، فنقلت أثره إلى الثياب وغيرها من الأدوات، فعملت على صباغها به، نظراً لما أمتاز به اللون الأحمر من كونه لوناً عاطفياً. دلت الأبحاث اليوم على أن «رجل أعمال يتباهى بربطة عنق حمراء إنما تشير إلى بعض الصبا والحيوية، والمرأة المرتدية ثوب حفلة قرمزي إنما تصدر دعوة جنسية شديدة الوضوح»(٤).

٢ ـ هزال الجسم

يعتري المحب الصادق هزال وضعف؛ نتيجة تفكيره الدائم في مَنْ عشق، واحتراقه بنار الفراق، وسهره الدائم، ومفارقته النوم. وكلها عوامل تبعث النحول وتسبب السقم والهزال. والمطالع أخبار العشاق يقع على شواهد جمة تؤيد ما نرويه. من أمثلتها ما رواه صاحب مصارع العشاق، قال: «انصرفتُ من الحجّ فمررتُ بماوِيّة(٥) وكان لي فيها صديق من بني عامر بن صعصعة، فصرت

(١) الميداني: مجمع الأمثال، ج١ ص١٩٩.

(٢) يراجع، ابن أبي حجلة التلمساني: ديوان الصبابة، ص١٠١.

(٣) المتنبي الديوان، شرح العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٨م، ج١ ص١٥٩. وقوله: حمر الحلى أي متحليات بالذهب الأحمر، وحمر المطايا وهو أحسن ألوان الإبل....

(٤) ينظر، آلن بيز(Allan Pease): لغة الجسد، تعريب سمير شيخاني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص١٩٥.

(٥) ماويّة من أعذب مياه العرب، على طريق البصرة من النّباج بعد العُشَيرة بينهما عند ألتواء=

إليه مُسَلِّماً، فأنزلني، فبينا أنا عنده، ونحن قاعدان بفنائه إذا نساءٌ مستبشرات وهن يقلن: تكلَّمَ تكلَّمَ! فقلت: ما هذا؟ فقالوا فتًى مِنّا كان يعشق ابنة عمٍّ له، فَزُوِّجت، وحُمِلَتْ إلى ناحية الحجاز فإنه لعلى فراشه منذ حَوْلٍ ما تكلّم، ولا أكل، إلا أن يُؤْتى بما يأكله ويشربه. فقلتُ: أحبُّ أنْ أراه فقام، وقمت معه فمشينا غير بعيد، وإذا بفتًى مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت، لم يبق منه إلا خيال. . . .»[١].

والهزال والسقام صفتان ثابتتان عامتان في المحبين العاشقين، ولم تكونا وقفاً على مجنون ليلى أو عُزوة وأضرابهما من قبيلتهما[٢].

ويحاول أهل العاشقين إصلاح ذوات بينهم، عن طريق التماس علاج سقام أبنائهم بالتداوي من بلواهم. ولكن عبثاً يحاولون؛ لأن داء الحبّ سم زعافٌ، لا تنفع فيه عقاقير، ولا أدوية عَرّاف[٣]. ولهذا عجز الأطباء عن استئصال أسباب المرض ووصف الدواء؛ نظراً لصعوبة اقتلاع الحبيبة من قلب العاشق الولهان. وما تحدّي مجنون ليلى الطبيب[٤] إلا الدليل والسند الأصيل. قال منشداً: [من الطويل]

ألا يَا طَبِيبَ الجِنِّ وَيْحكَ دَاوِني فَإِنَّ طَبِيبَ الإنسِ أعياهُ دَائِيَا

- الوادي الرقمتان. يراجع، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، مج٥ ص٤٨.

(١) الشيخ أبو محمد جعفر السراج القارىء: مصارع العشاق، دار صادر، بيروت، لا.تا، مج١ ص٤٠.

(٢) ينظر نماذج منها، ابن السراج القارىء: مصارع العشاق، مج١ ص٤٢ و٩١ و١٠٠ و١٠٩ و. . . .

(٣) يعتبر داء الحب مرادفاً لداء السّل، وكثيراً ما أسموه به. ووجه المشابهة التي عبرت خلالها التسمية والإستعارة «الفتك» و «الإستعصاء». والسل من الأمراض القاتلة في زمانهم. . . ولم يزل إلى اليوم من الأمراض شبه المستعصية. نقل عن محمد بن جعفر بن زبير قوله: «سمعت رجلاً من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه، فقال عروة: يا هذا بحق أقول لكم إنكم أرقّ الناس قلوباً. فقال: نعم، والله لقد تركت بالحي ثلاثين قد خامرهم السّل، وما بهم داء إلا الحب». ينظر، ابن السراج: مصارع العشاق، مج١ ص٤٢.

(٤) تحدي الأطباء كثير في سِيَر العشاق وأخبارهم. يراجع، أبو محمد السراج: مصارع العشاق، مج١ ص٢٣٩. واعتبر الأدباء والعلماء العشق الداء العياء الذي تعجز عن معالجته الأطباء. قال الشاعر: [من البسيط]

الحُبُّ داءٌ عَيَاءٌ لا دَوَاءَ لَهُ تَضِلُّ فيهِ الأَطِبَّاءُ والنَّحارِيرُ
قدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أنَّ الواصِفِينَ غَلَوْا في وَصْفِهِ فإذا بِالْقَوْمِ تَقْصِيرُ

ينظر، الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص ٧٦.

أتَيْتُ طبيبَ الإنسِ شيخاً مداوياً ... بِمَكَّةَ يُعْطِي في الدّواء الأمَانِيَا
فَقُلْتُ له يا عمّ حُكْمكَ فاحتكِمْ ... إذا ما كَشَفْتَ اليومَ يا عمّ ما بِيَا
فَخَاضَ شَرَاباً بَارِداً في زُجَاجَةٍ ... وطَرَّحَ فيه سَلْوة وسَقانِيا
فَقُلْتُ ومَرْضى الناس يَسْعَوْن حَوْلَهُ ... أعوذُ بِرَبِّ النّاسِ مِنْكَ مُداوِيَا
فقال: شِفَاءُ الحبِّ أنْ تُلْصَقَ الحَشَا ... بِأحْشَاءِ مَنْ تَهْوى إذا كُنْتَ خالِيَا(١)

وأنّى للدواء الناجح: «أن تلصق الحشاء بأحشاء منْ تهوى»؟! وقد فارقته أو تزوّجت غيره، أو منعها أهلها منه. ونزولاً عند استعصاء الدواء يقل من الداء الشفاء، ويكثر صرعى الصبابة ويزيد ضحايا الهوى، الذين أحْصِيَ منهم: [من الوافر]

وقبلَكَ ماتَ مِنْ وَجْدٍ بِهِنْدٍ ... أخُو نَهْدٍ وصاحِبُهُ جَمِيلُ
وعُرْوَةُ والمرقّشُ هَامَ دَهْراً ... بِأسْمَاءَ فَلَمْ يُغْنِ العَوِيلُ
قَتِيلُ الرّيحِ مِنْ قِبَلِ الغَوانِي ... فَلا قَوْدٌ ولا يودي قَتيلُ(٢)

٣ ـ الدموع

من حديقة الهزال والمرض تُجْنى ورُود الدموع، وهي ضوابط القلب المحبّ والنفس العاشقة. والدموع تطفو على صفحة الحزن والألم بشكل عام، ولها في مرتع الغرام أجلّ مقام. ولما كانت علامة ظاهرة، انكشفت خفايا العاشق عند نزولها، لأن الحبّ أكثر ما يؤخذ في القلب، الذي يعتقد أنه سمّي تجوّزاً «موطن الأسرار»(٣) لغاية ستر الحب، وخفاء الوجد. قال صاحب «مصارع العشاق» يصف الدموع، علامة إعراب العاشق المشتاق: [من الخفيف]

سَبَحَتْ حينَ أبْصَرَتْ مِنْ دُمُوعِي ... لُجَّ بَحْرٍ قَدْ أعْجَزَ السُّبّاحَا
ثُمّ قالتْ لِتِرْبِهَا في خَفَاءٍ ... لَيْتَ هذا الفتى قَضَى فَاسْتَرَاحَا

---

(١) قيس بن الملوح (مجنون ليلى): الديوان، ص١١٣.
(٢) داود الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج١ ص١٢٩.
(٣) يوضحه قول الشاعر: [من الطويل]
شَرِبْنَا على زهر الرّبيعِ المُفَوَّفِ ... وجَاءَ لَنَا السّاقِي بِصَهْبَاءَ قَرقَفِ
فَلَمّا شَرِبْنَاهَا وَدَبّ دَبِيبُهَا ... إلى مَوْضِعِ الأسْرَارِ قُلْتُ لها: قِفِي
ابن الدباغ: كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، ص١٩.

أيُّهَا الرَّاحِلُونَ رُدُّوا علَى آلْـ ... مُشْتَاقِ قَلْباً أثْخَنْتُمُوهُ جِرَاحَا
كَتَمَ الوَجْدَ جُهْدَهُ فإذا الدَّمْـ ... ـعُ بِأسْرَارِ وَجْدِهِ قَدْ بَاحَا
بَاعَكُم قَلْبَهُ الكَئِيبَ سَفاهاً ... فَأخَذْتُم رُقَادَةَ أسْتِرْبَاحَا[١]

وكأني بالدّموع تطفىء غليل القلب وتبرّد حرارة الصبابة، كما تطفىء الماء النار والحرارة[٢]. وهذا ما يفسّر كثرة ذرف الدموع في بيئة العاشقين. روى الشيخ أبو محمد السّراج القارىء، قال: «سمعت أعرابياً يقول: اشرحوا الرأي عند الهوى، وافطموا النفوس عند الصبي، ولقد تصرّعَتْ كبدي للعاشقين من لوم العاذلين، ولروعات الحب نيران على أكبادهم مع دموع على الغواني كغروب[٣] السواني»[٤].

ودموع العاشقين لم تكن بالنزر اليسير، فننظر إليها كعرض زائل، بل هي بالقدر الكبير. دمع الحبيب متلاحق، نقاط غيوث تأخذ بعضها برقاب بعض، لا تجف واحدة حتى تتبعها أختها، بحيث يصح فيها القول: «أمطرت العيون دموعاً»، و«هطلت المقل...». قال مجنون ليلى موضحاً حجم دموع الحبّ: [من الخفيف]

لَمْ تَزَلْ مُقْلَتِي تَفِيضُ بِدَمْعٍ ... مِثْلِ فَيْضِ الغُيُوثِ مُذْ فَقَدْتُهَا
مُقْلَةٌ دَمْعُهَا حَثِيثٌ وأُخْرَى ... كُلَّمَا جَفَّ دَمْعُهَا أسْعَدَتْهَا

---

(١) يراجع، أبو محمد السراج: مصارع العشاق، مج١ ص٣٤.
(٢) المعلوم من شأن الدمع أنه يطفىء الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدّة الوجد ويعقب الراحة. من شواهده في أشعارهم، قول أمرىء القيس: [من الخفيف]
وإنّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دراسٍ مِن مُعَوَّلِ؟
أمرؤ القيس: الديوان ص ٣١.
وقول ذي الرُّمة [من الطويل]:
لَعَلَّ انْحِدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِن الوَجْدِ أوْ يَشْفِي نجِيَّ البَلَابِلِ
ذو الرُّمة: الديوان، ص ٤٩٢.
وغيرهما كثير. يراجع، الآمدي: الموازنة، حقق أصوله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الباز للطباعة والنشر، لا. ب، لا. تا، ج٢ ص١٨٧.
(٣) الغُرُوب الواحد غَرْب، وهي الدموع حين تخرج من العين. السّواني جمع سانية، وهي الناقة التي يُسْقى عليها. ينظر على التوالي، ابن منظور: لسان العرب، مج١ ص٦٤٢، مادة [غرب] ومج١٤ ص٤٠٤، مادة [سنا].
(٤) أبو محمد السراج: مصارع العشاق، مج١ ص١٠٠.

مـا جَـرَتْ هـذه عـلـى الـخَـدِّ حَـتَّـى لَـحَـقَـتْ تِـلْـكَ بـالّـتِـي سَـبَـقَـتْـهَـا
دَمْـعَـةٌ بَـعْـدَ دَمْـعَـةٍ فـإذَا مَـا لـحِـقَـتْ تـلـك هـذه أحـدرَتْـهَـا[1]

وجملة القول: العاشق إذا لم يجد مَنْ يشتكي له، ويفرج كربته عنده، يلجأ إلى البكاء، ففيه الراحة والرخاء. وهذا ما يجعل البكاء علامة إعراب الحبّ، يصدقه القول: [من مجزوء المتقارب]

عَـلامَـةُ ذُلّ الـهـوى عـلـى الـعـاشِـقـيـنَ الـبُـكـا
ولا سِـيَّـمـا عـاشـقٌ إذا لـم يَـجِـدْ مُـشْـتَـكـا[2]

٤ ـ اعتلال اللسان وارتجاف البدن

الحبُ شعلة تتأجج في القلب، قدحت بها عيون المها باللحظ بين الجوانح. تعكس نارها ارتجاجاً في أعضاء الجسم عامة، ولجلجة في اللسان خاصة، تبرز بشكل حُبْسة[3] حيناً وعُقْلَة[4] أحياناً. ومن يتابع سلوك العاشقين التعبيري وأسلوبهم اللغوي، يلحظ في كلاهم، وعند التلفظ في قضاء حوائجهم أمارات ما نذكره. من أدلة اهتزاز الجسم وانتفاضته، والروعة التي تحصل له عند ذكر حبيبته، ما جاء في قول الشاعر: [من الطويل]

وإنّـي لَـتَـعْـرُونـي لِـذِكْـرَاكِ هِـزَّةٌ كما انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطرُ[5]

يتحول العاشق عندئذٍ إلى ـ ما يشبه ـ عصفور ينتفض بعد أن بلله قطر المطر.

ويتجاوز اهتزازه مقام ذكرها إلى أماكن أخرى، تتمثل في رؤيته لها. وتتدنى إلى درجة يهتز فيها عند رؤية مضاربها وخيامها[6]. والسِّرُ في بكاء الديار والآثار شوق إلى قُطّانها وتوق إلى سكانها.

(١) مجنون ليلى: الديوان، ص١١٧.
(٢) ينظر، ابن أبي حجلة التلمساني: ديوان الصبابة، ص٣١٤.
(٣) الحُبْسةُ تعذر الكلام عند إرادته. يراجع، ابن منظور: لسان العرب، مج٦ص٤٦، مادة [حبس].
(٤) العُقْلَةُ التواء اللسان عند إرادة الكلام. ينظر، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢ص٤٧٦، وابن منظور: لسان العرب، مج ٦ ص٤٦، مادة [حبس].
(٥) ينظر، ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص٢٢٩.
(٦) من شواهده قول الشاعر: [من الطويل]
وإنّي لتعروني مهابةُ عزّها إذا ما تراءت من بعيدٍ خيامها
يراجع، ابن الدباغ: كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، ص٩٢.

وارتقى بكاء الديار والأطلال إلى درجة أضحى معها ظاهرة مطردة[١].

ويتعدى أمر الارتجاج والبَهَت عند اللهج بذكر الأحبة، إلى أدواء أخرى تظهر في شكل علل لسانية ـ لغوية، كالصمت (الخرس) وعدم القدرة على الكلام في هاتيك المقام. من أدلته ما وصف به الشاعر حال العاشقين: [من الطويل]

فَمَا هُوَ إلّا أنْ أرَاهَا فُجَاءَةً ... فَأُبْهَتَ حتّى ما أكادُ أُجِيبُ
فأرجعُ عنْ رأيِي الّذِي كانَ أوّلاً ... وأذكرُ ما أعْدَدْتُ حينَ تَغِيبُ[٢]

ويبقى الصبّ معتقل اللسان، عيي الجَنان تنطقُ عنه الأحوال بدلاً من لسان المقال. وما أكثر الأحوال التي تحكي عنها الدموع! من أمثلتها ما أنشده مدرك بن علي الشيباني في عمرو بن يوحنا: [من الرجز]

مِنْ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دانِ ... نَاطِقِ دَمْعٍ صَامِتِ اللسانِ[٣]

ويعتل لسان مَنْ وقع في غرام الغلمان، شأن مَنْ هام قلبه بالفتيات، حتى يمكن أن نسمّي اللجلجلة «مرض العشق»؛ لأنها ناتجة عنه، وملازمة إياه. من شواهده ما جاء على لسان أبي نواس: [من المنسرح].

نَادَيْتُهُ والظَّلامُ مُنْسَدِلٌ ... وغُرَّةُ الصُّبْحِ بَعْدُ لم تَبِنِ
قُمْ يا خَلِيلي إلى المَدامِ لكي ... تُطْرَدَ عنا عَسَاكرُ الحزنِ
فلَمْ يجبني إلّا بِلَجْلَجَةٍ ... تكادُ تَخْفَى على الفَتَى الفطنِ
فَلَمْ أزلْ بالرُّقَى أعَلِّلُهُ ... حتى انْجَلَى عنه عارضُ الوَسَنِ[٤]

وزلزلة اللسان ولجلجة البيان من العلامات الملازمة للعشق[٥]. وقد لحظها العلماء في أثناء ذكرهم له. قال داود الأنطاكي: «وهي أحوال يتصف بها البدن كتغير الألوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره حتى أنها قد تقضي

---

(١) يراجع، أبو إسحاق الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص١٧١.
(٢) ينظر، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٩٤.
(٣) أبو محمد السّراج: مصارع العشاق، مج١ ص٢٤٢.
(٤) أبو نواس: الديوان، ص١٣٧.
(٥) تعد أعلى أنواع ذكر الحبيب، أن يحبس المحبّ لسانه على ذكره... يراجع، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٨٨.

بالهلاك وكذا اعتقال اللسان وأحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن»[١].

٥ ـ حركة العين

تتحرك العين في محجرها عند العاشق حركات متعددة، تحكي فيها معاني الحب، في محاولة لكتم حديث القلب. وفي حركتها تنبىء عن خفايا فكرها وخلجات فؤادها. من الحركات التي تعتبر أمارة الحب، وحركة يستدل بها عليه، إغضاء المحِبّ نظره عند نظر محبوبه إليه، ورميه بطرفه نحو الأرض. وعلة سلوك العين المذكور تُفَسّر «من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره»[٢].

ومن علامات الحب التي تسطرها العين أيضاً إغراقها في الدموع، وابتلالها بها. فعين العاشق دائمة العوم في بحار الدموع، التي ماؤها لا ينضب، وسيلانها لا ينقطع، تساير الصب، وتعمل على مقدار إيقاع القلب. قيل في تصوير عوم العين في الدموع: [من الخفيف]

عَجِبَتْ أمُّ خَالِدٍ إذْ رأتْ سُحْـ ـبَ جُفُونِي فِي فَيْضِهِنَّ رُكَامَا
ثُمَّ نَادَتْ أتْرابَهَا إذْ رأتْ إنْـ ـسَانَ عَيْنِي فِي مَائِهَا قَدْ عَامَا
يَا سُلَيْمَى يَا هِنْدُ يَا فَا طِمَ يَا أمَّ مَالِكٍ يَا أُمَامَا
مَا لإنْسَانِ عَيْنِهِ يَكْثُرُ الغَسْـ ـلَ بِفَيَّاضِ مَائِهَا اسْتِحْمَامَا
قُلْنَ: لَا عِلْمَ عِنْدَنَا غَيْرَ أنَّ المَرْ ءَ فِي تِيهِ حُبِّكُم قَدْ هَامَا[٣]

ويحاول العاشق إخفاء أنفاس حبّه إلى أقصى حدّ، ولكن عبثاً يحاول لأنّ اللسان كتوم والدمع نموم. إن حاول الإنكار استدلوا على حاله بحركة إعراب عينه، ووقف دمعه شاهداً على وجده، يصوره قول الشاعر: [من الطويل]

وَمُنْكِرِ مَا بي مِنَ الوَجْدِ والأسَى ولي شَاهِدَانِ فيضُ دمعي وتَسهادي[٤]

ارتقى شاهد العين على الحب بين الاثنين حتى بات مَعْلَماً، قرأ فيه المحبون أسطر حبهم في عيون عاشقيهم. وتكاد كلمة عمر بن أبي ربيعة تكون عنواناً وعلامة بيّنة في هذا المجال، قال: [من الخفيف]

(١) داود الأنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج١ ص٣٤.
(٢) يراجع، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٨٧.
(٣) ينظر، أبو محمد السّراج: مصارع العشاق، مج٢ ص٤٣.
(٤) يراجع، أبو محمد السّراج: مصارع العشاق، مج٢ ص٤٦.

فَعَرَفْنَ الشَّوْقَ في مُقْلَتِهَا   وَحَبَابُ الشَّوْقِ يُبْدِيهِ النَّظَرْ(١)

وتوخياً لكتم لغة الحب اللاشفوية التي تلفظها اللحاظ، لجأت العيون إلى اتجاهين آخرين في تعبيرها. الأول الكلام في الليل بغية تجنب الواشين والعاذلين، يعزز سلوكها أن التعبير اللاشفوي لغة مرئية، يعتمد في قراءة ألفاظه على العين لا على الأذن. وتحت جنح الظلام لا يمكن للقارىء فهم مقاصدها، واستيعاب ألفاظها، يشهد له قول أحد العاشقين: [من الطويل]

فَقُلْتُ لها: إنّي اهْتَدَيتُ لِفِتْيَةٍ   أَنَاخُوا بِجَعْجَاعٍ قَلَائِصَ سُهَّماً(٢)

فقالتْ: كَذَاكَ العاشِقُونَ ومَنْ يَخَفْ   عُيُونَ الأعَادِي يَجْعَلِ اللَّيْلَ سُلَّما(٣)

والاتجاه الثاني التورية بالنظر حملاً على اللفظ. والعين توري بتعبيرها عندما تنظر إلى مكان إيهاماً وهي تقصد آخر. والتورية مسلك لغوي معروف وسلوك مشهور في بيئة المحبين. من أمثلته ما أُوْصيَ به عمر بن أبي ربيعة على لسان حبيبته «نُعْم»: [من الطويل]

وقُلْنَ أهَذا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سادِراً؟   أَمَا تَسْتَحِي أو تَرْعَوِي أوْ تُفَكِّرُ؟

إذَا جِئْتَ فامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا   لكَيْ يَحْسَبُوا أن الهَوَى حيثُ تنظرُ(٤)

ويتجلى تعبير العين تورية بأبهى حلته في مجالس الوشاة. عندها تظهر من خلال اتجاه النظر إلى مواضع شتى غير الموضع المقصود (وجه الحبيب)، إيهاماً وتضليلاً للمراقبين الكاشحين. جاء في اختلاس النظر خشية الرقباء: [من الطويل]

إذَا مَا الْتَقَيْنَا والوشاةُ بِمَجْلِسٍ   فَلَيْسَ لَنَا رُسْلٌ سِوَى الطَّرْفِ للطَّرْفِ

فإنْ غَفَلَ الوَاشُونَ فُزْتُ بنظرةٍ   وإنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرتُ إلى السَّقْفِ(٥)

---

(١) عمر بن أبي ربيعة: الديوان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ص١٥١.

(٢) الجعجاع الموضع الضيق الخشن. القلائص الواحدة قلوص، والقلوص من الإبل الشابة أو الباقية على السَّير. السهم الضمر والتغير. ينظر على التوالي، الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٣ ص١٣، مادة [جعْ]، ومج٢ ص٣١٤، مادة [قلص]، ومج٤ ص١٣٤، مادة [السهم].

(٣) يراجع، أبو محمد السّراج: مصارع العشاق، مج٢ ص٧.

(٤) عمر بن أبي ربيعة: الديوان (شرح محمد محيي الدين عبد الحميد)، ص١٠٠، ١٠١.

(٥) ينظر، الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. تا، مج٢ ج٣ ص١١٧.

و«نظرت إلى السقف» عين التورية اللاشفوية. ومن ألفباء العين واختلاس النظر تورية خشية الرقباء، كسر العين والحاجب، يوضحهما قول أحد الشعراء: [من الطويل]

فَسَلَّمْتُ إيمَاءً ووَدَّعتُ خِيفَةً فكانَ جوابي كَسْرَ عَيْنٍ وحَاجِبِ[١]

فضلاً على علامات فرعية تسند العلامات الأصلية، ككثرة اللهج بذكر الحبيبة، وذكر أقاربها وما يمت بصلة إليها. وما امتلاء دواوين الغزل بأسماء الحبيبات، حقيقة أو كناية وتورية[٢]، تجنباً للحرج، إلا دليل يشد أزر العلامات الفرعية. والمحب يجد في ذكر مَنْ يهوى الأمن والأمان، فيخلد في ظلال اسمها إلى الاطمئنان، وبخاصة ساعة العسرة. يصور الإشكالية القول المنسوب إلى عنترة بن شداد: [من الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُك والرِّمَاحُ نَواهِلٌ مِنِّي وبيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأنَّها لَمَعَتْ كبَارِقِ ثَغْرِكَ المُتَبَسِّمِ[٣]

ومن العلاقات الفرعية أيضاً الخضوع... والاستكانة والخشوع وسواها. وقد أجملها الزبير بن بكار[٤] في غضون وصفه رجلاً عاشقاً، قال: رأيت رجلاً بناحية الثَّغر[٥] عليه أثر ذلة وخضوع، واستكانة وخشوع، كان يكثر التنفس،

(١) يراجع، الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاولات الشعراء البلغاء، مج٢، ج٣ ص١١٧.

(٢) قد تكون أسماء الحبيبات المذكورة في الشعر العربي مستعارة، والحبيب يقصد غيرها، يرجحها الوقوف عند أسماء محددة، منها ليلى، هند،.... فهل نصب ماء تسمية البنات وبقي وقفاً على أسماء معينة؟؟ أم هي التورية التي أغرتهم بالأسماء المحددة المشهورة؟!...

(٣) نقلاً عن، ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٨٨، ولم نعثر عليه في ديوانه، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

(٤) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام. عالم بالأنساب وأخبار العرب. ولي قضاء مكة. من مؤلفاته «جمهرة نسب قريش»، و«أخبار ابن ميادة» و«أخبار حسان» وسواها. توفي سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م. يراجع، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٢ص٣١١.

(٥) الثَّغر كل موضع قريب من أرض العدو، كأنه مأخوذ من الثُّغرة، وهي الفرجة في الحائط. وهو في مواضع كثيرة، منها: ثغر الشام... ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢ ص٧٩.

ويخفي السكوت، ويبدي الأنين، وحركات المحِبّ لا تخفى في شمائلها، ولا يسترها بتصاونه، فسألته في بعض أيامه، وقد خلوتُ به عن حاله فكان جوابه، وقد تحدّرت الدموع من عينيه: [من مجزوء الرمل]

أَنَــا فــي أمْــرَيْ رَشَــادِ بَــيْــنَ غَــزْوٍ وَجِــهَــادِ
بَــدَنِــي يَــغْــزُو عَــدُوّي وَالــهَــوَى يَــغْــزُو فُــؤَادِ[١]

بعد العيان الدليل والبرهان

إنها أبرز علامات الحبّ، التي تقف شاهداً على غزو الهوى الفؤاد، وبيّنة على اعتماره بالوجد. وهي تتناظر إلى حدّ بعيد علامات الإعراب التي تدخل الكلام، إن من حيث الشكل، أو من حيث الغاية. و لا أدلّ على ما نقوله من المرتكزات التي نسوقها.

١ ـ علامات الإعراب تحمل في طياتها دلالات مختلفة، تتباين بتباين الموقعية والسياق. ذكر العلماء دلالاتها بقولهم: «إن الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلاً أو مفعولاً وغير ذلك. وتلك المعاني لا تلحق الاسم إلا بعد حصول العلم بحقيقته ومعناه، فوجب أن لا يتقدم الإعراب الاسم ولا يتوسطه في الوجود...»[٢]. من أمثلته الضمة في قولك: «هذا جعفرٌ»، والفتحة في قولك: «رأيتُ جعفراً»، والكسرة من قولك: «مررتُ بجعفرٍ». وعلامات الإعراب المتعددة هي نفسها ـ مع اختلافها نوعاً ـ التي تظهر على العاشق الولهان. تقابل ضمة «جعفر» في المثل المتقدم والفتحة والكسرة... علامات تحاكيها غاية وتخالفها شكلاً. ومن يقرأ قول العلماء في علامات الهوى يجد التناظر الذي يصل إلى حدّ التطابق. قال أبو الطيب الوشاء ذاكراً العلامات المتباينة على نحو قول النحاة: «واعلم أن أوّل علامات الهوى على ذي الأدب نحول الجسم، وطول السُقم واصفرار اللون، وقلة النوم وخشوع النظر وإدمان الفكر وسرعة الدموع وإظهار الخشوع

(١) ينظر، أبو الطيب الوشاء: الموشى أو الظرف والظرفاء، دار صادر، بيروت، لا. تا، ص٧٧.

(٢) السهيلي: نتائج الفكر في النحو، حققه وعلق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، ص٦٦، ومثل ما أثبته الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ٧٣، والسيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص١٧٥.

وكثرة الأنين وإعلان الحنين وانسكاب العبرات وتتابع الزفرات...»[١].

والحركات المتباينة تدل على الحب، كما تدل رديفتها على الإعراب، وإن أربت علامات الحب، فهي تناظر إلى حدّ ما علامات الإعراب[٢]. والحركات بجملتها تحاكي نحو القلوب؛ لأن حركة إعراب الجنان هي نفسها حركة إعراب اللسان.

قال الشاعر: [من المجتث]

نَحْوُ اللِّسَانِ عَجِيبٌ ... رَفْعٌ وَخَفْضٌ وَنَصْبٌ
عَلَامَةُ الرفعِ فيهِ ... رَوْحٌ وأُنْسٌ وقُربُ
وَأَحْرُفُ الخَفْضِ منهُ ... حُزنٌ وقَبْضٌ وحَجْبُ
والنفسُ حرفٌ لمعنى ... إسقاطُهُ مستحبُّ[٣]

٢ ـ الحركة الإعرابية تظهر في آخر الكلمة علامة على معنى، والكلمة هي المَعْلَم. وتتشكل مجموعة العملية الإعرابية من عنصرين أساسيين العلامة والمَعْلَم. ولا تقوم العلامة من دون المَعْلَم؛ نظراً لتلازمهما. أوضح السهيلي تلازمهما في باب الإعراب، بقوله: «... إذ لا تقوم الحركة والسكون إلا بجسم أو جوهر، فإذا ثبت ذلك فالضمة عبارة عن تحريك الشفين بالضمّ عند النطق بالحرف، فيحدث عن ذلك صوت خفي مقارن للحرف...»[٤]. وكذلك أعراض الحب وعلاماته لا تقوم إلا مع المحِبّ معلمها، وهي علامته. فالاصفرار ونحول الجسم وهزاله واعتلال اللسان في فعل القول... كلها أمارات تظهر في العاشق، كما تظهر حركات الإعراب في آخر الكلمة. وما العلامات المجموعة في قول الشاعر إلا السند والشاهد: [من المجتث]

وفي القَلْبِ مِنّي نارٌ ... والنارُ منها شَنَارُ
وفي فؤادي جَمْرٌ ... والجَمْرُ فيهِ شرارُ

---

(١) أبو الطيب الوشاء: الموشى، ص٧٦.

(٢) تقسم الحركات إلى سبعة أقسام، هي: أعراب وبناء وحكاية وإتباع ونقل وتخلص من سكونين وحركة المضاف للياء. ينظر، السيوطي: همع الهوامع، ج١ ص٦٠. وتعدّدُ الحركات يحاكي إلى حدّ ما أمارات الحب.

(٣) الإمام القشيري: نحو القلوب الصغير، ص١٣٩ و١٥٩.

(٤) السهيلي: نتائج الفكر في النحو، ص٦٧.

والجسمُ مِنّي نَحيلٌ والـلّونُ فيهِ اصْفِرَارُ
والعَيْنُ تبكي بِشَجْوٍ فَدَمْعُهَا مِدْرَارُ
والحُبُّ داءٌ عَسِيرٌ فيهِ الطّبيبُ يُحارُ
حَمَلْتُ منهُ عَظيماً فما عليهِ اصْطِبارُ
فَلَيْسَ لَيْلِي لَيْلاً ولا نَهَارِي نَهارُ[(1)]

٣ ـ الغاية من الإعراب التعبير عن المعاني، وتبدل أحوال الجسم ينم عن معانٍ. وهو بمعيار الدلالة لغة ولكنه لغة غير شفوية. من أمثلته تبدل الألوان لتبدل الدلالات، كما في الانتقال من حُمرة[(2)] الخدين إلى صفرة الوجنتين. جاء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[(3)]، وقوله في الآية التي تليها: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[(4)]. ففي الأولى وصف الوجوه بالإسفار، وهو الإشراق (يختص بالألوان)؛ لأنها علمت ما لها من الفوز والنعيم، كناية عن الإيمان، ثم عدل في الثانية عن المعنى الأول عن طريق تغيير اللون، فوصف الوجوه بالغبرة من الغبار، كناية عن تغير الوجه للغمّ[(5)]؛ لأنها علمت ما لها من العذاب والجحيم.

ومثله تبدل حركة الجسم من استقرار وثبات إلى اهتزاز وارتجاف. وكل تبدل يعتري العاشق يقوم مقام الحركة في اللفظة التي تدل على معانٍ. وأعراض الجسم لغة طبيعية تلقائية. أشار أحد الدارسين إلى اكتسابها صفة اللغة، قال: «ويجب أن يُعنى بالعلامة أي رمز قابل لأن يستخدم للتفاهم بين البشر... ولما أمكن للعلامات أن تكون متنوعة الطبيعية، أصبح هناك عدة أنواع من اللغات. فكل أعضاء الحواس يمكن استخدامها في خلق لغة. فهناك لغة الشم ولغة

(١) ينظر، أبو محمد السراج: مصارع العشاق، مج٢ ص١٤، ١٥.

(٢) فسرت بعض الدراسات الحديثة الحمرة تفسيراً آخر، جاء فيها: إنها تعبير عن الهياج الجنسي، وقد أزيح من مكانه الأصلي وهو الأعضاء الجنسية إلى الوجه باعتباره أكثر أجزاء الجسم انكشافاً، في مقابل الأعضاء الجنسية وهي أكثر أجزائه استتاراً. يراجع، د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م، ص١٦١.

(٣) سورة عبس، الآية ٣٨ و٣٩.

(٤) سورة عبس، الآية ٤٠ و٤١.

(٥) ينظر، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٣٥٧، مادة [غبر].

اللمس ولغة البصر ولغة السمع. . .»[١]. وبذا تآخت علامة الحب وعلامة الإعراب.

٤ ـ دلالات الحب أمارات اهتدى بها دارسو العشق والمهتمون بالصبابة في التراث العربي. وقد أسموا أوصاف الحب «علامات» متخذين من المصطلح النحوي «علامة» قالباً لمعانيهم. من هؤلاء الدارسين أبو الطيب الوشاء (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م؟) الذي قال: «علامات الهوى» في فقرة عقدها لذلك، جاء فيها: «وأعلم أن أول علامات الهوى. . .»[٢]. وجعل ابن الدباغ (ت ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م) عنوان الباب التاسع من مؤلفه: «في ذكر العشق على الإجمال وما يتصل بذلك من الأحوال»[٣]. وتبعه ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) الذي عقد الباب العشرين للحديث عن «علامات المحبة وشواهدها»[٤]. وأشار ابن أبي حَجَلة التلمساني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م) إلى علامات الحب بشكل عرضي[٥]. واحتذى داود الإنطاكي (ت ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م) حذو سابقيه، فأومأ إلى علامات الحب بإشارة لطيفة[٦]. ولعل من أجلها كلام ابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) في رسالته طوق الحمامة، باب علامات الحب، قال: «وللحب علامات يقفوها الفطن، ويهتدي إليها الذكي، فأولها إدمان النظر. . .»[٧] وفي استعمال العلماء السابقين المصطلح النحوي «علامة» دليل على تطابق المقصدين وتساوي الظاهرتين في الأصل والغاية. ولم يكن التناظر والتطابق من باب الصدفة أو الترادف. يدل على صحة التطابق سعي المصادر المذكورة إلى البحث عن علامات يعرف بها العاشقون، ولو جاء التصريح بمصطلح «علامة» بشكل خفي والإشارة إليها من طرف حيي، إلا أنها تظهر التطابق. ويكفي دليلاً عليه، وإظهاراً إليه أن للحبّ مراتب، كما هو حال النحو

---

(١) J. Vendryes: Le Langage, Introduction Linguistique à L'histoire, Paris, 1921, P: 6.

(٢) أبو الطيب الوشاء: الموشى، ص٧٦.

(٣) ابن الدباغ: مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، ص٩٦.

(٤) ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٨٥.

(٥) ابن أبي حجلة التلمساني: ديوان الصبابة، ص٩٩ وص١٠٧.

(٦) داود الإنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج٢ ص٤٠٢.

(٧) ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٧م، ج١ص١٠٣.

والإعراب. ذكرت المصادر أن «الحبّ أول مراتب الهوى، ثم العلاقة، وهي الحبّ اللازم في القلب، ثم الكَلَف وهو شدّة الحبّ، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب، ثم الشغف، وهو إحراق الحب للقلب مع لذة يجدها، وكذلك اللوعة واللاعج... ثم الهيوم وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه، ومنه رجل هائم»(١).

٥ ـ الإعراب في أصله وتعريفه معنوي، والحركات دلائل عليه، وهو ظاهر قول سيبويه. وقد حدّدوه بقولهم: «تغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً...»(٢). وهو تحديد ينطبق إلى حدّ كبير مع حقيقة العشق. قال أرسطو: «بأنه جهل عارض صادف قلباً فارغاً دق عن الأفهام مسلكه وخفي عن الأبصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتغشى على سائر الأعضاء فيبدي الرعدة في الأطراف والصفرة في الأبدان واللجلجة في الكلام والضعف في الرأي والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون»(٣). وهو تعريف يطابق النحو، يشد أزره استعمال أرسطو المصطلحات «عارض»، «فارغ دق عن الأفهام مسلكه»، أي لم يتحدد معناه ما لم يتحدد إعرابه، و«ابتداء حركته» كتحديد حركة الإعراب في الاسم....

٦ ـ العلامة الإعرابية تنقسم باعتبار ظهورها وعدمه قسمين، أحدهما الظاهر والثاني المقدر(٤). والمتأمل علامات الحب يجدها ظاهرة ومقدرة. فمن المقدر النار التي تتصل في قلب المحب... وقد ذكرها الشاعر، بقوله: [من الطويل]

وللحُبِّ آياتٌ إذا هي صُرِّحت ... تَبَدَّت علاماتٌ لها غُرَرٌ صُفْرُ
فباطِنُهُ سُقْمٌ وظَاهِرُهُ جَوَى ... وأوّلُهُ ذِكْرٌ وآخِرُهُ فِكْرُ(٥)

---

(١) يراجع، الثعالبي: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ص١١٦، وأبو إسحاق الحصري: المصون في سر الهوى المكنون، ص٧٩ ـ ٨٠.

(٢) ينظر، السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص١٥٩.

(٣) نقلاً عن، داود الإنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج١ ص٢٤.

(٤) قال الجمهور: الإعراب لفظي وهو أثر يجلبه العالم ظاهراً أو مقدراً... وقيل معنوي وهو التغيير لعامل لفظاً أو تقديراً، قيل أو محلاً في المبني... يراجع السيوطي: همع الهوامع، ج١ ص٤٠.

(٥) ينظر، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢ ص٣١٧.

ويكفي دليلاً على علامات الحب أنه يشبه المرضى وللمرض أعراض يعرف بها، وكذلك حال شبيهه. ولا أدل على صدق ما نذكره من اعتبارهم الحب مرضاً، وقد يسمونه «داء السل» ـ كما ذكرنا في أول الفصل ـ. إلى جانب ما كان يشاع عن بني عذرة: «إذا أحبوا ماتوا» والمرض يودي إلى الموت، وهو يطابق الحب الذي يودي بدوره إلى الموت. واعتماداً على المشابهة للمرض عرفت له علامات أو أمارات وأعراض.

وتظهر حقيقة مطابقة الحبّ للمرض بأجلى صورها عند حديثهم عن حالات الحب وأوصافه التي جاءت نسخة طبق الأصل للحديث عن المرض. ذكر الحصري «مواضع حالات الحب ومواضع درجاته»، قال: «أوصافه كثيرة وضروبه كبيرة، كالمِقَة والشَغَف والوجدِ والكلفِ. . . والجوى والدنِف والصّبوةِ والصبابة والكروب والكآبة والشجو والخلابة والبلابل والحسرات والتباريح والغمراتِ والتّندم والوصل والهيام. . . والحزنِ والكمدِ والوصب والإكتئاب والنَّصَبِ واللذع والحُرَقِ والتسهيد والأرقِ والرقة والجزع والخوف والهلع. والغلة والغليل والبكاء والعويل. . . والأنين والاستكانة والتبلد والحيرة والتلدد واللوعة والفتون والفجائع والشجون والمسّ والجنون. . . والنحول والبلى والحَين والردى والداء المخامر والضنى المساهر والكبد الحرّى والعين العَبْرى والعقل المختلس والنَفَس المحتَبس واللبّ المسلوب والدمع المسكوب»[1].

ما تقدم بعض المرتكزات اتكأنا عليها لتصديق فرضية «علامة إعراب الحب»، التي تحاكي علامات الإعراب في النحو. وهي تبرز ظاهرة أو مقدرة في المحب، لا يُقْدَر على طمس معالمها وإطفاء أوار نارها بسهولة ويسر، نظراً لبروزها تلقائياً لا إرادياً في كثير من الأحايين. واستناداً إليها لم يعد يُعْتدّ بقول العاشق ـ إيجاباً أو سلباً: إني عاشق، وأنا صبّ مُحِبّ. . . بل يركن إلى العلامات التي أثبتتها الأدلة. لسان القول قد يعتوره التحريف، ولكن لسان الحال وشاهد اللحظ يفوقه صدقاً، ولا يعرف التصحيف.

وجملة القول

نخلص إلى القول إن للحبّ علامات يعرف بواسطتها، ودلائل يستدل بها على خفايا قلب الإنسان، فيجب التنبّه إليها، وعدم تفسيرها بكيفيات منعزلة عن

(١) أبو إسحاق الحصري: المصون في سِرّ الهوى المكنون، ص٧٧ ـ ٧٨.

صاحبها. فلا يقال عن امرىء إنه عاشق لمجرد تصريحه بالقول، بل يُتّكأ على العلامات التي يعرف بها. أنشد الشاعر: [من البسيط]

ما يَعْرِفُ الحُزْنَ إلّا كُلُّ مَنْ عَشِقَا ... وليسَ مَنْ قالَ إنّي عاشقٌ صَدَقَا
لِلْعاشِقِينَ نُحولٌ يُعْرَفونَ بهِ ... من طولِ مَا حَالفُوا الأحْزانَ والأرَقَا[١]

رسخت علامة الإعراب في بيئة العاشقين وميدان المحبين، فتعاملوا معها عفوياً وعرضاً، حين قرأوا أمارات الحبّ في وجنات محبيهم، وسلوك عاشقيهم، لا يثنيهم عن اتجاههم لسان ناطق يتكلون عليه، وبَنان كاتب يرجعون إليه. قال ابن مَمّاتي[٢] واصفاً حال حبيبه: [من السريع]

وأَهْيَفٍ أخَذَتْ لي نَحْوَهُ ... تَعَجُّباً يُغْرِبُ عنْ ظَرْفِهِ
عَلامَةُ التأنيثِ في لَحْظِهِ ... وأحرفُ العِلّةِ في طَرْفِهِ[٣]

تملي علامات الحب على الدرس اللغوي ـ الاجتماعي توجيهين. الأول عدم تفسير العلامة بكيفيات منعزلة عن الحدث القائم والظروف المحيطة[٤] به؛ لأن تفسيرها على هاتيك المنهج يؤدي إلى نتائج سلبية. كأن يفسر اللون الأصفر بالمرض النازل بالجسم، وقد تكون حقيقته حباً وقع في قلب مَنْ عَلَتْهُ الصفرة. ولعل من أبلغ الأمثلة محبة الديار[٥]. فقد ينخدع الناظر، فيزعم أن مَنْ يقبل

---

(١) أبو الطيب الوشاء: الموشى، ص٧٦، ٧٧.

(٢) هو أسعد بن مهذّب بن مينا بن زكريا بن مَمّاتي. ولد بمصر سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م. كان نصرانياً، فأسلم هو وجماعته في ابتداء الدولة الصلاحية. ابن مماتي وزير وأديب. له من المؤلفات: «قوانين الدواوين»، و «نظم سيرة السلطان صلاح الدين»، وغيرهما. توفي بحلب سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م. ينظر، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج٣، ج٦ ص١٠٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان، مج١ ص٢١٠.

(٣) يراجع، الشيخ عبد الرحيم العباسي: معاهد التنصيص. . ، ج٤ ص١٥٠.

(٤) كان برييتو (Pricto) يرى أن اللفظة وحدها غير كافية لإنشاء المعنى، إذ لا بد من استدعاء الملابسات والظروف التي يتم فيها الحدث الكلامي. والوضعية هي التي تسعى وتعمل على توثيق معنى من المعاني المقبولة. يراجع،
Claude Germain et Raymond Le Blanc: La Semantique, Les Presses de L'université de Montréal (Québec), Canada, 1982, p: 51, 52.

(٥) محبة الديار سلوك متواتر في رحاب العاشقين. وقد بالغ بعض العشاق فأحب الكلاب لحب حبيبته، يشهد له قول الشاعر: [من الوافر]

=

الديار ويتعبد الجدار إنساناً وطنياً، يتعشق رحاب بلده. وما درى أنه علامة حب صاحبة الدار، يؤازره قول الشاعر: [من الوافر]

أُمُرُّ عـلـى الـدِّيَـارِ دِيَـار لَـيْـلَـى ... أُقَـبِّـلُ ذَا الـجـدارَ وذا الـجِـدَارَا

وَمَا حُـبُّ الـدِّيَـارِ شَـغَـفْـنَ قَـلْـبِـي ... ولـكـنْ حُـبّ مَـنْ سَـكَـنَ الـدِّيَـارَا[1]

والتوجيه الثاني الاحتراز في أخذ رأي أبي محمد جعفر بن الحسين السّراج القارىء، الذي ذهب إلى أن العشق يطلق اللسان. قال: «. . . فإن العشق يطلق اللسان العييّ ويفتح حياة البليد والمخبّل. . .»[2]. وقد أكّدت المصادر ورجحت الوقائع أن الحب يعقل اللسان، ويسبب له الحصر والعجز، فلا يقدر على البيان. جاء في وقائع التراث العربي قول أحمد بن طاهر ففيه المثل والحجة: [من الطويل]

عِـتَـابـاً كَـأيَّـامِ الـحـيـاةِ أعـدُّهُ ... لألْـقَـى بـه بَـدْرَ الـسَّـمَـاءِ إذا حَـضَـرْ

فـإن أخَـذَتْ عَـيْـنِـي مَـحَـاسِـنَ وَجْـهِـهِ ... دُهِشْتُ لما ألْقَى فيملكني الحَصَرْ[3]

فهل أخطأت المصادر وأصابها الخبل وعلاها الوهن؟؟! فأتت برأي فطير وبضاعة مُزجاة؟! والأبحاث النفسية والاجتماعية ترجح أن «الانفعال ينكص باللغة إلى مستوى طفلي مما يبدو لدى كثير من الطلبة أثناء الامتحان الشفوي فبدل أن يجيبوا على السؤال نراهم يكررونه ويتكلمون كالأطفال. . . يضاف إلى هذا أن الانفعال العنيف يجعل صاحبه ساذجاً سريع التصديق شديد القابلية للإيحاء. . .»[4]. وما الحب إلا انفعال، بل انفعال عنيف. وهذا ما يفسر اقتران الحب أحياناً بالجنون، وليس فقط كما يقول البحث السابق «يجعل صاحبه ساذجاً». يجب، على ضوء الأدلة المذكورة، أخذ رأي أبي محمد السراج بشيء من النقد والمعاودة والمناقشة.

= أُحِـبُّ لِـحُـبِّـهـا الـسـودانَ حَـتَّـى ... أُحِـبُّ لِـحُـبِّـهـا سُـودَ الـكِـلَابِ

ينظر، أبو محمد السراج: مصارع العشاق، مج٢ ص٣٦.

(١) يراجع، داود الإنطاكي: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج١ ص٣٤.

(٢) أبو محمد السراج: مصارع العشاق، مج٢ ص٢٢.

(٣) يراجع، الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، مج٢، ج٣ ص١١٨.

(٤) ينظر، د. أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية، ط٩، ١٩٧٣م، ص١٤٣.

وتبقى إشكالية ـ من وحي الإعراب ـ تساور الأذهان، بما تثيره فيها من استفهام مفادها: ما بال الاسم المبني الذي يلزم حالة واحدة، ولم تتغير حركته بتغير موقعه والعوامل الداخلة عليه؟؟ أين علامة الحب فيه؟؟ وهل هناك إنسان يشاكل المبني، لا يحب ويعشق؟؟

قبل الشروع في الإجابة، نذكر تحديد البناء، وهو: «لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل. وكأنهم إنما سمُّوهُ بناءلأنه لمّا لزم ضرباً واحداً فلم يتغير الإعراب سمّي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعه، لا يزول من مكان إلى غيره...»[(١)]. والإجابة تكمن في أن المبني لا يزول من مكان إلى غيره. وهو يقابل المتزوج الذي تهدأ نار عاطفته، ويسكن أوار فؤاده، عندها لا يزول من مكان إلى غيره، ومن حبيبة إلى سواها. يدعم ما نقوله اختزان مادة [بنى] معنى اللزوم والسكون... قالوا: البناء الدخول بالزوجة. وفي حديث علي (رضي)، قال: يا نبيَّ الله متى تبنيني؟ أي تدخلني[(٢)]. وحقيقته كما قال ابن الأثير: متى تجعلني ابتني بزوجتي[(٣)].

وتطور معنى [البناء] على طريق المجاز في الاتجاه نفسه. قال بدوي لآخر: هل لك بيت؟ أي امرأة. وبات فلان إذا تزوج. وبنى فلان عليه بيتاً إذا أعرس[(٤)].

هكذا تتطابق علامات الحب والإعراب، وبها باتت الإشكالية تحظى بميزان اليقين الراجح، وبحيازتها على جواد الحق القارح.

برزت، بعد ما تقدم علامية (Sémiotique)[(٥)] الحُبّ، التي ارتقت إلى

(١) ابن جني: الخصائص، ص٣٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مج١٤ ص٩٧، مادة [بني].

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١ ص١٥٨، مادة [بنا].

(٤) الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م، ص٥٢ وص٥٦، ٥٧، مادة [بني]، و[بيت].

(٥) سيميوتيك «Sémiotique» مصطلح يقصد به «العلامية»، وهو علم يبحث في دلائل نظام إشاري معين.. قال أحد الدارسين: إذا بحثت الشارات والألبسة في قطر معين، فعملي «علامية اجتماعية»، وإذا بحثت الحوار في الشعر أو المسرح فعملي «علامية أدبية»، وهكذا دواليك.. يراجع، عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة، آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١م، ص٥١.

درجة أصبح يعتمد عليها في تقرير حال الحبّ، كما يعتمد على العلامات الإعرابية في تقرير المعنى، بعيداً عن الغوغائية والضبابية. وبذلك جلت غبار الإشكالية المطروحة المتمثلة بعلامات إعراب الحب أو «سيمياء الحب»، التي تحاكي في أبعادها ومعانيها حركات وأمارات الإعراب. وبارتقاء الظاهرة من سُدّة الإشكالية إلى رتبة اليقين يبرز إسهام العرب في علم العلامات «Sémiologie»(١). وهو قول أصل وليس بالهزل، تسنده الأدلة.

أ ـ عرف العرب علم العلامات «السيمياء»، وتداولوه، وليس أدلّ على ذلك من استخدامهم مصطلحه جاء في قولهم: «السّيماء والسّيمياء العلامة». قال الشاعر: [من الطويل]

* لهُ سِيمِياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ(٢) *

ب ـ اعتمد العرب على العلامات في غير موقف اجتماعي ـ تعبيري، يشفع لهم قول ابن عبد ربه: «الاستدلال باللحظ على الضمير»(٣)، وسواه من المواقف التعبيرية.

وبسلوكهم اللغوي المذكور، وضعوا بذرة «السيمياء» وأنبتوها، ثم تركوا للآخرين جني ثمارها فغابت جهود العرب وظنّ الدارسون أن السيمياء من مبتكرات الحضارة، ومعطيات التجدد. تجلى اعتقاد الدارسين والمثقفين في تسميتهم اللّسانة أو الألسنية (Linguistic) يعنون بها «علم اللغة الحديث»(٤)، فجعلوها مقابلاً

---

(١) السيميولوجيا «Sémiologie» أو علم العلامات، وهو علم يتناول أنظمة العلامات غير اللسانية، وهو يهتم بكل أنظمة العلامات. وقد اختلف العلماء في اتساعه وامتداده. فبعضهم لا يرى في السيمياء إلا دراسة أنظمة الإتصالات بواسطة علامات أو إشارات غير ألسنية، رأى آخرون ـ ومنهم دوسوسير ـ أن مفهوم الرمز والعلامة تتسع لتصل إلى أشكال الإتصالات الاجتماعية كالطقوس والاحتفالات وعبارات المجاملة... وهناك فئة تعتبر الفنون والآداب أشكال اتصال تعتمد على أنظمة العلامات.. يراجع، Pierre Guiraud: La Sémiologie, que sais - je?, N^{O}: 1421, PP: 5, F.De Saussure: Cours De Linguistique Générale, P: 25.

(٢) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٢٥١.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢ ص٣٦١.

(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر، د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، لا. تا، ص٣٢، ٣٣.

للدرس النحوي القديم، ولم يَدُر في خلدهم أن علماء العربية عرفوا اللُسانة، واتجاهها اللغوي. ورد في تفسير القرطبي: «.. سَمَّى رسول الله ﷺ الفصاحة في الكلام واللُّسانة فيه سِحْراً... وإنما يحمد العلماء البلاغة واللُّسانة ما لم تخرج إلى حدّ الإسهاب والإطناب، وتصوير الباطل في صورة الحقّ»(١).

وترتب على الزعم الخاطىء تقريرات أعطت محصلات خاطئة كاعتبارهم السيمياء علماً نشأت نظريته «منذ بداية هذا العصر»(٢).

لقد بات واضحاً «سيمياء الحب»، يزيده جلاء وبيِّنة معرفة علماء العربية لهذا النوع من التعبير. وبذلك نضيف إلى النظام اللغوي في سلوك الحب الأنظمة الإشارية؛ فينبغي الأخذ بأهدابهما لزيادة القدرة على التواصل، ورفع مستوى فهم الآخرين حين ينطقون وحين يصمتون. فاللغة بأوسع مداها وأدق مفهومها «نظام من العلامات»، وبأضيق صورها «الملفوظ والمخطوط».

---

(١) الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣، مج ١، ج٢ ص٣٢.

(٢) Pierre Guiraud: La Sémiologie, que sais- je?, N° 1421, P U F, 3 édition, 1977, p: 7.

الفصل الثالث

الذكر في قواعد اللغة العربية

نموذج: مسائل مختلفة

توطئة

قامت حياة العربي منذ جاهليته على القوة والغلبة. وقد أملت ظاهرة الغلبة طبيعة البيئة التي نشأ فيها. فالصحراء برمالها وكثبانها، بقيظها وحرّها، بقحلها وفقرها افترضت على الإنسان مثل هذا السلوك الاجتماعي. فهو يغالب الكثبان، ويصارع الحيوان، وينازل أخاه الإنسان؛ ليحصل على القوت والمكان. إنها حقيقة قررتها الوقائع كما وصفها أحد المستشرقين: «الصحراء التي تؤلف معظم البلاد، هي التي تقرر الأحوال الاجتماعية. ذلك أن مراعيها الشتيتة لا تكفي إلا لإقامة المواشي الصغيرة والجمل الذي تُشبع حاجاته ورغباته في سهولة فائقة، والذي يجد فيه العربي قوام طعامه ولباسه. وإذا كانت العناية بهذا الحيوان لا تكمن إلا بالرحلة والضرب في المناطق النائية فقد صار كل تنظيم سياسي قائم على الاستقرار في السكنى أمراً متعذراً على البدوي . . . وتجوب ـ القبيلة ـ البراري معاً في طلب المرعى، وكل من يجترىء على التقدم إلى منطقة غريبة إنما يعرض نفسه للقتل أو السلب»[(١)].

وساهم في رسم معالم حياتهم أيضاً تغلب البداوة على طباع الأوائل، مما ولّد فيهم الشجاعة، وبعثهم على الإقدام والبسالة. بالإضافة إلى خلق الحافز عندهم لانتزاع ما في أيدي الآخرين. وهي حقيقة حفظتها المصادر. جاء في مقدمة ابن خلدون: «أنه لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة . . . كان هذا الجيل الوحشي أشدّ شجاعة من الجيل الآخر، فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم . . . وكذا كلّ حيّ من العرب يلي نعيماً وعيشاً خصباً دون الحي الآخر. فإن الحيّ المتبدّي يكون أغلب له وأقدر عليه إذا تكافآ في القوة والعدو . . .»[(٢)].

---

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٨٤ م، ص١٧.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وقد وجهت الغلبة والقوة سلوك العربي الاجتماعي وجهات متباينة، فإذا بتصرفاته من جنى ثمارها وسلوكهم في حياتهم من حصيدتها. مَنْ لان للناس استضاموه، ومن كفَّ عن ظلم الناس ظلموه. مبدأ ساروا على هديه، واستناروا بضوئه، يعززه قول زهير بن أبي سلمى: [من الطويل]

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ(١)

ولم يكن هذا القول فرداً في بابه، بل بات ظاهرة عامة يرددها غير شاعر. من شواهدها قول سعد بن ناشب المازني: [من الطويل]

تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرَاسَتِي وشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكَرِيمَ وإِنْ حَلَا لَيُلْفَى عَلَى حَالٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ
وَفِي اللِّينِ ضَعْفٌ والشَّرَاسَةِ هَيْبَةٌ وَمَنْ لا يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ(٢)

وصاحب السلطة والقوة عندهم يفرض إرادته، ويسيطر على ما في أيدي الناس. لا يضبطه قانون جنائي، ولا حكم جزائي. يستولي على منابت الزرع، ويجلي عنها الضعيف ولسان حاله يقول يردد: [من الوافر]

إِذَا نَزَلَ السَّحَابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإِنْ كَانُوا غِضَابَا(٣)

وربما جرّتهم الفاقة والعوز مع اقتدارهم إلى منازلة أبناء عمومتهم... وقد يتهورون إلى درجة يغيرون فيها على إخوانهم، يصور حالهم قول القطامي: [من الوافر]

وَأَحْيَاناً عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا(٤)

وأحياناً تملي القوة والبطش عليهم تبعات يؤدونها إلى أبناء قبيلتهم، على شاكلة نصرة أخيهم في الملمات والنائبات. وهو واجب قبلي، لا يسأل المجيب أخاه أظالم هو أم مظلوم!؟ ولعل في قول أحد شعرائهم صورة تؤكد سلوكهم وترسم تصرفاتهم، أنشد: [من البسيط]

---

(١) ديوان زهير، دار صادر، بيروت، لا. تا، ص٨٨.

(٢) الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام، تحقيق وتعليق د. علي المفضل حمودان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٢، مج١ ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٦، ١٩٧٩م، ص ٣٥٩.

(٤) المبرد: الكامل، ج١ ص٨٦.

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوِحْدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا[١]

وحرص العربي على الغلبة والقوة كلّ الحرص، انعكس في الاهتمام بآلات الحرب وأدواتها. تجلى الأمر في اعتناء العربي بفرسة عناية قدّمها على زوجته وأولاده. من أمثلة ذلك تقديم رجل من تميم فرسه سَكَابِ[٢] على عياله في الطعام، قال: [من الوافر]

أَبَيْتَ اللَّعْنَ، إِنَّ سَكَابِ عِلْقٌ نَفِيسٌ لَا تُعَارُ وَلَا تُبَاعُ!
مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا العِيَالُ وَلَا تُجَاعُ[٣]

هكذا قامت حياة العربي على الغلبة. قبيلة قوية تجتاح أخرى ضعيفة، وفرد قوي يستبد بآخر ضعيف، وحيوان مفترس يقاوي وديعاً.

ونال الذكر نصيبه من غلبة الأنثى، فكان الرجل ـ بوجه الإجمال ـ قوّاماً على المرأة بما ملكت يمينه. . .

حقائق عرفها العربي وخلدتها اللغة، التي كانت ولما تزل مظهراً من مظاهر الفكر ووعاء من أوعيته. ولا عجب في ذلك، لأن «اللغة دليل أخلاق الأمة ومرآة أدابها وسائر أحوالها. . .»[٤].

الذكر يتقدم الأنثى

وإذا كانت اللغة قد سجلت ظواهر الحياة باعتبارها مرآة حياة الأمة، إلا أن أثرها انعكس عميقاً في صياغة أحكام اللغة، وتفسير قواعدها، وتعليل أحكامها.

---

(١) الأعلم الشنتمري: شرح حماسة أبي تمام، مج١ ص٣٥٨.

(٢) والأسماء المبنية على «فَعَالِ» كثيرة، منها أسماء أفعال بمعنى الأمر، ومنها أسماء مواضع ومنها أسماء أعلام، من نحو: سَجاحِ ورقاشِ وحَذامِ وقَطامِ وبَهَانِ أسماء نساء. وَسَكَابِ وَسَرَاجِ وكَزازِ وخَصَافِ وَقَدَامِ وقَسَامِ أسماء أفراس. ينظر، السيوطي: المزهر. . ، مج ٢ ص١٣١.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مج١ ص٤٧١، مادة (سكب)، وابن نباته المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨، ص٣٨٦. ومناسبة الأبيات أن لحُرَيث بن قحطان التميمي فرساً يسميها سُكَابِ، فأراد بعض ملوك اليمن أخذها منه، فهرب بها وقال الأبيات.

(٤) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣ م مج١، ج١ ص٣٠.

برز التغليب ـ وهو صدى مبادىء المجتمع ـ في القواعد النحوية العربية كظاهرة مطردة في غير مسألة من مسائله، وحكم من أحكامه. والمسائل التالية دليل وعيان وفيها الحجة والبرهان.

١ ـ العامل (الغلبة للعامل القوي)

أسند قانون اللغة العربية العمل من رفع ونصب وجزم وجرّ إلى عامل، فكانت عوامل الأسماء والأفعال والحروف[1] تبعاً لنوع العمل. فضلاً على قسمة أخرى بأعتبار الهيئة والظهور، جعلت العوامل لفظية ومعنوية ولكن هذه العوامل تتفاوت فيما بينها بالعمل بحسب معيار القوة. فالعامل القوي يزيل حكم العامل الضعيف. من العوامل اللفظية «كان» وأخواتها، و«ظننت» وأخواتها، و«إنّ» وأخواتها، و«ما» الحجازية وحروف الجر... وعلى رأس العوامل اللفظية الفعل[2]، وهي أقوى من العوامل المعنوية. من أمثلة العوامل الأخيرة الابتداء، وعامل الرفع في الفعل المضارع[3]. والدليل على ذلك أنها تزيل حكم العامل المعنوي. من أدلته قولهم: «زيدٌ قام» فقد ارتفع «زيد» بعامل معنوي وهو الابتداء. وحين تلقى عليه العوامل اللفظية تزيل حكمه، تقول: «كان زيد قائماً»، و «إنّ زيداً قائم»، و «ظننت زيداً قائماً»...

وقد أوضح ابن هشام ظاهرة القوة والغلبة في العامل حين راح يفسر عامل الفاعل، قال: «... إن عامله ـ الفاعل ـ لفظي، وهو الفعل أو شبهه، بخلاف المبتدأ فإن عامله معنوي، وهو الابتداء، والعامل اللفظي أقوى من العامل المعنوي، دليل أنه يزيل حكم العامل المعنوي... ولما بيّنت أن عامل الفاعل أقوى كان الفاعل أقوى، والأقوى مقدم على الأضعف...»[4].

وترتب على ظاهرة الغلبة في العمل تقنيات روعوها في الترتيب بين العامل والمعمول. فالعامل القوي يعمل متقدماً ومتأخراً، كقوله: «عَمْراً ضرب

(١) عبد القاهر الجرجاني: كتاب الجمل في النحو، شرح ودراسة وتحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص٥٩، ٧٢، ٨٩.

(٢) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، راجعه وقدم له د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ج١ ص٢٩٧.

(٣) الشيخ الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، دار الفكر، لا. ب، لا. تا، ج١ ص١٥ وج٢ ص٢٢٩.

(٤) ابن هشام: شرح شذور الذهب ص١٥٨.

زيد»، حيث جاز تقديم معموله «عَمْراً» على العامل (الفعل المتصرف) «ضرب»، وكذلك سائر الأفعال المتصرفة[١].

أما العامل الضعيف فلا يقوى على العمل فيما قبله؛ ولهذا لا يتقدم المجرور والمنصوب والمجزوم على الجار والناصب والجازم[٢]، ولا معمول المصدر وفعل التعجب، واسم الفعل...[٣]. والعامل - على أغلب الظن - انعكاس الذكر، والمعمول صدى الأنثى، وقد ظهرا في صفحة النحو، وتجليا في الأحكام السابقة، كما برزا في الحياة الاجتماعية.

٢ ـ المرتبات (التقديم والتأخير)

بناء على قانون العمل للعامل الأقوى، وجدت رتب لا يمكن للمعمول أن يتخطاها، وتبقى حكراً على القوي. من أحكام ذلك قولهم: «تقديم المعمول يدل على جواز تقديم العامل[٤]»، فلا يصح أن يتقدم المعمول إلى موضع لا يتقدم إليه عامله. فلا يجوز «القتال زيداً حين يأتي» حيث تقدم عامله الذي هو «يأتي»[٥]، لأن المضاف إليه لا يتقدم المضاف. ولهذا لما صح تقديم المفعول على الفاعل وعلى الفعل نفسه، كما في قولهم. «عمراً ضرب بزيد»، جاز تقديم أخبار النواسخ عليها، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

ويبرز قانون الغلبة والتفوق جلياً في تفسير ابن الأنباري[٧] جواز تقديم معمول

---

(١) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١ ص١٧٤.

(٢) السيوطي: الأشباه والنظائر ي النحو، ج١ ص٣٠٩.

(٣) الأشموني: شرح الأشموني على الألفية، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥ م، ج٢ ص٣٣٨ و٣٦٨ و٤٤٩.

(٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ج٧ ص١١٣.

(٥) ابن يعيش: شرح المفصل، ج٧ ص١١٣.

(٦) سورة الروم، الآية ٤٧. والشاهد فيها قوله (حقاً) حيث تقدم الخبر على الاسم الذي هو «نصر المؤمنين». وقد يتقدم معمول الخبر على الفعل نفسه كما في قوله تعالى: ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ [الأعراف: ١٧٧].

(٧) اسمه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، يكنى أبا البركات، وينعت كمال الدين ويعرف بالأنباري. قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولازم ابن الشجري، وسمع بالأنبار من أبيه. برع في اللغة والنحو والتاريخ. من مؤلفاته: «الإنصاف في مسائل الخلاف»، و «نزهة الألباء في طبقات الأدباء»، وسواهما. توفي سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. وهو غير سميّه: «الأنباري» صاحب «شرح السبع الطوال»، وغير الأنباري صاحب «إيضاح الوقف والابتدا». ينظر، الفيروزأبادي: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص١٢٤ ـ ١٢٥ ود. محمد كشّاش: معجم =

خبر المبتدأ على المبتدأ، قال: «. . . لأن المعمول تَبَعٌ للعامل، فلا يفوقه في التصرف، بل أَجْمَلُ أَحْوَالِهِ أن يقع مَوْقِعَهُ، إذ لو قلنا أنه حيث لا يقع العالم لَقَدَّمْنَا التابع على المتبوع، ومثال ذلك أن يجلس الغلام حيث لا يجلس السيد، فتجعل مرتبته فوق مرتبة السيد، وذلك عدول عن الحكمة، وخروج عن قضية المَعْدَلَة. . .»(١).

ونتيجة للمبدأ السابق ردّوا بعض القضايا، التي ظهرت بشكل استثناءات على القاعدة. من شواهدها ما جاء في قاعدة النعت. جمهور النحويين يوجبون كون الموصوف أما أعرف من الصفة، نحو: «مررت بزيد الفاضل»(٢)، أو مساوياً لها، نحو: «مررت بالرجل الفاضل»(٣)، ولا يجوز أن يكون دونها، نحو: «مررت بالرجل صاحبك» فصاحبك بدل عندهم، لا نعتُ لأن المضاف للضمير في رتبة الضمير أو رتبة العلم، وكلاهما أعرف من المعرف باللام(٤).

٣ ـ العدد والمعدود

تبدو قضية تغليب الذكر الأنثى في مسألة العدد من خلال اتباع المؤنث للمذكر، واتخاذه الأصل والأساس في حسبان الحكم النحوي. من مسائله أنه إذا اجتمع عدد من النسوة ورجل واحد أعطي الحكم للمذكر، تقول مثلاً هذا رابع أربعة إذا كان هو وثلاث نسوة، لأنه قد دخل معهن(٥). وتوضيح القضية أنك تقول: «أربعة بالتذكير، لأنه إذا اجتمع مذكر ومؤنث جُعِلَ الكلامُ على التذكير؛ لأنه الأصل»(٦).

وقد أكّد سيبويه معيار غلبة المذكر في الحكم النحوي، قال: «. . . هذا حادي أحد عشر إذا كنّ عشر نسوة معهن رجل، لأن المذكر يغلب المؤنث. ومثل ذلك قولك: خامس خمسة إذا كن أربع نسوة فيهن رجل، كأنّك قلت: هو تمام خمسة»(٧).

= المتفق والمفترق في ألقاب أئمة اللغة والنحو وأنسابهم، ص٤٩ ـ ٥٢.

(١) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١، ص٦٨.

(٢) لأن العلم «زيد» أعرف من المعرف بـ «أل». والمعارف مراتب وقد رتبها العلماء باعتبار أعرفيتها على النحو التالي: المضمر ثم الاسم العلم ثم المبهم ثم ما فيه أل. . . يراجع، ابن يعيش: شرح المفصل، ج٥ ص٨٧.

(٣) لأنهما معرفان بـ «أل».

(٤) ينظر، ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص٤٣٣.

(٥) ينظر، المبرد: المقتضب، ج٢ ص١٨٢.

(٦) المبرد: المقتضب، ج٢ ص١٨٢.

(٧) سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ج٣ ص٥٦١.

وعلى هَذي ما سبق، منعوا إنزال المؤنث منزلة المذكر، وهو وإن وقع فإنهم يعتبرونه قبيحاً؛ لأنه تقوية الضعيف وارتقاؤه إلى مرتبة القوي. وشاهده ما ورد في قولهم: «ثلاثة نسابات». قال سيبويه: «وهو قبيح، وذلك أن النسابة صفة فكأنه لفظ بمذكر ثم وصفه ولم يجعل الصفة تقوى قوة الاسم، فإنما تجيء كأنك لفظت بالمذكر ثم وصفته كأنك قلت: ثَلَاثَةُ رِجَالٍ نَسَّابَاتٍ»(١).

٤ ـ قضية التثنية

في التثنية قانون يسمى «المثنى على سبيل التغليب»، وفيه يغلبون الذكر على الأنثى. وقد ورد منه كثير في كلام العرب. من نحو «القمران»(٢) كما في قول الفرزدق: [من الطويل]

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ(٣)

يريد بالقمرين: الشمس والقمر.

ومثله أيضاً تثنيتهم «الليل والنهار» على «المَلَوَان». من أمثلته قول ابن مقبل: [من الطويل]

نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِمٌ مَلَوَاهُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالِ المَرْءِ يَخْتَلِفَانِ(٤)

وتبدو إشكالية تغليب الذكر الأنثى بأجلى صورتها حين يتجاوزون في حكمهم الأسماء غير العاقلة إلى العاقلة، كتثنيتهم الأب والأم على «الأبوين». قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾(٥). ومن هذا القبيل وصلوا إلى تغليب بعض المذكر على الآخر، كما في قولهم «العمران»(٦) في

---

(١) سيبويه: الكتاب، ج٣ ص٥٦٣.

(٢) العرب تسمي الشمس والقمر القمرين؛ فيغلبون القمر ـ والشمس أفضل منه ـ لعلتين: إحداهما التذكير والأخرى أنهم أنسوا بالقمر يجلسون فيه للسمر، ويهديهم السبل في سرى الليل في السفر، ويزيل عنهم وحشة الغاسق، وينم على المؤذي والطارق. يراجع، التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠، ص٧٢.

(٣) ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، لا. تا، مج١ ص٤١٩.

(٤) يراجع، أبو علي الفارسي: المسائل العضديات، تحقيق د. علي جابر المنصوري، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص٤٨.

(٥) سورة النساء، الآية ١١.

(٦) أوضح بعض العلماء علة تغليب عمر لأبي بكر جاء فيها: . . . فإنهم قالوا: دولتنا=

أبي بكر وعمر، و «العجاجان» في رؤبة والعجاج... وغيرهما[١].

٥ ـ تغليب المعرفة النكرة

روعيت في الجملة العربية قوة الاسمين المجتمعين، بحيث يعطى الحكم فيها للأقوى، كأن يجتمع في الجملة معرفة ونكرة، فيها تغلب المعرفة لقوتها. من أدلة ذلك قولهم: «هذا رجل وعبد الله منطلق». فالوجه نصب «منطلق» على الحال، واتباع «رجل» لـ «عبد الله» في الإعراب، فيصبح الوجه: «هذا رجل وعبد الله منطلقين». وسبب ذلك أنك لو قلت «منطلقاً لم يجز، لأنك لا تقول على معنى الحال: هذا عبد الله منطلق، ويجوز أن تقول: هذا رجل منطلقاً. فالحال يجوز لهما، والنعت لا يصلح من أجل عبد الله[٢].

وقد برّز سيبويه السلوك النحوي الآنف الذكر، من خلال مثل ضربه، وهو قولهم: «هذان رجلان وعبد الله منطلقين»، قال: «وإنما نصبت المنطلقين لأنه لا سبيل إلى أن يكون صفة لعبد الله، ولا أن يكون صفة للاثنين، فلما كان ذلك محالاً جعلته حالاً صاروا فيها، كأنك قلت: هذا عبد الله منطلقاً»[٣].

وقد حمل حكم المعرفة والنكرة على مبدأ اجتماعي قائم على غلبة الرجل للمرأة كأن الرجل يمثل المعرفة والمرأة تمثل النكرة، يوضح ما نرجحه قول سيبويه وهو يعقب شارحاً المثل السابق: «وهذا شبيه بقولك: هذا رجل مع امرأة قائمين»[٤].

٦ ـ غلبة المذكر المؤنث

تعتبر غلبة المذكر المؤنث من أبرز الظواهر في هذا الميدان، بل هي المتكأ الذي عليه استند النحاة في تفسير سلوك النحو وتعليل أحكامه. وقد طالت الغلبة مجالات شتى يجتمع فيها المذكر بالمؤنث. ففي الخطاب الشامل للذُكْرَانِ والإناث، يغلب الذكر. من شواهده قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

= العمرين فغلبوا أسم عمر (رضي الله عنه)، وإن كان أبو بكر (رضي الله عنه) أفضل، والسبب في ذلك طول مدة دولة عمر (رضي)، وكثرة الفتوحات فيها، وما تمهد فيها من قواعد الإسلام. ينظر، التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ص٧٢.

(١) يراجع، ابن هشام: مغني اللبيب، ص٩٠٠ ـ ٩٠١.

(٢) المبرد: المقتضب، ج٤ ص٣١٤.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج٢ ص٨١.

(٤) سيبويه: الكتاب، ج٢ ص٨١.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١]. وكذلك ما جاء في تكليف الذكور والإناث، كتبت الغلبة في الخطاب للذكور، وفازوا في الحكم النحوي، كما في قوله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾[٢].

وقد يكون الاسم المذكر ظاهراً، والمؤنث ظاهراً، والخطاب يبقى للذكر. قال علا شأنه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾[٣].

واتسعت ظاهرة تغليب الذكر الأنثى في تغليب الرجل عند خطاب الرجل والمرأة فطاولت ميادين تعبيرية شتى، وعمّت حتى باتت من سنن العرب[٤].

٧ ـ سلب بعض صفات إسمية المذكر عند مشابهته المؤنث

بدا تغليب الذكر مطرداً في العديد من الأحكام النحوية، وذلك عندما يكتب له الحكم النحوي العارض في قوانين الكلام. ـ وفي مجال اجتماعي ـ لغوي آخر تبدو ظاهرة التغليب من طريق مختلف عكسي، فيه يسلب حقه من بعض أحكام النحو، نتيجة مشابهته الاسم المؤنث. وهذا الأمر يتجلى في مسألة الممنوع من الصرف. فبعض الأسماء المذكرة كـ «حمزة وطلحة» ـ مثلاً ـ يمنعان من الجر والتنوين[٥] ـ وهما من خواص الأسماء ـ أي لا ينصرفان، وعلة الحكم اجتماع التأنيث والتعريف[٦]. . .

ومن الأحكام التي حجبت عن الاسم المذكر نتيجة هاتيك العلة المذكورة، عدم جمع أسماء العَلَم الذكور جمع مذكر سالماً[٧]. وقد أدى هذا

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٨. (٢) سورة البقرة، الآية ٤٣.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٨.

(٤) ينظر الثعالبي: فقه وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. تا، ص٢٢٠. جاء فيه: «فصل في الخطاب الشامل للذُكْرَانِ والإناث وما يُفرق بينهما». . . وغلّب الرجال وتغليبهم من سنن العرب وكان ثعلب يقول: امْرؤٌ وامرآن وقومٌ وامرأةٌ وامرأتان ونسوة ولا يقال للنساء قوم، وإنما سُمّي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور كما قال عزّ ذِكْرُهُ: «الرِّجَالُ قَوّامونَ على النّساء. . .».

(٥) يراجع، ابن يعيش: شرح المفصل، ج١ ص٥٨.

(٦) تبدو صورة الحكم جلية في سياق القاعدة القائل: إن كل اسم معرفة فيه هاء التأنيث فهو غير مصروف. . . وكل اسم فيه ألف التأنيث ممدودة أو مقصورة فهو غير مصروف معرفة كان، أم نكرة. ينظر، ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج٢ص٨٤.

(٧) السيوطي: همع الهوامع، بيروت، ١٩٩٢م ج٢ ص١٥١.

الإجراء إلى امتداد الاسم المذكر إلى قاعدة جمع المؤنث لينال منها ويستولي على ثلاثة أخماس شروطها. جاء في نص قاعدة جمع المؤنث السالم: ويجمع بهما ذو التاء مطلقاً سواء كان علماً لمؤنث كفاطمة ومذكر كطلحة، وعلم المؤنث مطلقاً، وصفة مذكر لا يعقل ومصغره وإسم جنس المؤنث بالألف(١).

إلى جانب مسائل أخرى عرفت ظاهرة التغليب، منها: إطلاقهم «مَنْ» على ما لا يعقل نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾(٢).

ومنها أيضاً تغليب المخاطبين العقلاء على الغائبين والأنعام، نحو قوله عز وجل: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾(٣). وسواه من المسائل...(٤).

بعد الظواهر الأدلة والثوابت

إنها نماذج سقناها لتكون شاهداً ودليلاً على مراعاة أحكام النحو العربي لظاهرة تغليب الذكر الأنثى عامة، والرجل المرأة خاصة. حقيقة واقعة في التراث النحوي، وهي تعكس واقعاً اجتماعياً معيشاً، عرفه العربي في حياته على شكل أعراف وعادات وتقاليد. ولهذا لم يكن التغليب باباً من التخييل والحدس. يشد أزر ما نحكيه جملة أمور، أبرزها:

أ ـ إن اللغة في حقيقتها مظهر الفكر، ومرآة المجتمع، بل هي سجل خالد لأعرافه وتقاليده. واستناداً إليه قامت أحكام اللغة على ما كان سائداً في المجتمع من علاقات اجتماعية. ولا غَرْوَ في القضية لأن «تحليل لغة قوم لا تعطينا مفتاحاً للدخول إلى ثقافتهم والتعرف على فكرهم فحسب، وإنما تتيح لنا التعرف على بنية العلاقات العملية التي يقوم عليها مجتمعهم، لأن الإنسان يدرك علاقته بالعالم ومنهاج عمله وهدفه فيه بناء على البنية اللغوية التي يستعملها»(٥).

وإذا كان الأمر كذلك، فالنحو أصدق قيلاً لهذه العلاقات، لأنه هو الذي

(١) السيوطي: همع الهوامع، ج١ ص٦٨.
(٢) سورة النور، الآية ٤٥.
(٣) سورة الشورى، الآية ١١.
(٤) ينظر، السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص١٦٩ ـ ١٧٠.
(٥) د. جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي (عالم المعرفة، الكويت، عدد ١٤٥، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ يناير كانون الثاني، ١٩٩٠م)، ص٣٢.

يجعل للغة ميزة إنسانية بشرية تفرقها عن لغة الكائنات الأخرى، التي تمتاز قواعدها بالضيق والإنغلاق.

ب ـ إن التغليب ظاهرة لغوية لم يفصح النحاة عنها النقاب كل الإفصاح، إلا أنهم ألمحوا إليها بطرف خفي. والناظر المتفحص في مؤلفات النحو يقع على آثارها إما بطريق التلميح أو التصريح. فمن التلميح ما عقده المبرد في كتابه المقتضب من أبواب، كباب «اشتراك المعرفة والنكرة»، و «باب تثنية الأسماء التي هي أعلام خاصة» وغيرهما...(١).

ومن التصريح ما أشار إليه سيبويه في باب أسماه: «باب ماغلبت فيه المعرفة النكرة»(٢)، وآخر أسماه «باب ما يكون فيه الشيء غالباً عليه اسم»(٣)، جاء فيه: يكون لكل ما كان من أمّته، أو كان في صفته.. وذلك قولك: فلان ابنُ الصَّعِق. والصَّعِقُ في الأصل صفة تقع على كلّ من أصابه الصَّعَق، ولكنّه غلب عليه حتى صار علماً بمنزلة زيد وعمرو.

ولما تزل هذه الظاهرة في ارتقاء ونمو حتى أصبحت من سنن العرب، يشهد لذلك ما قاله الثعالبي: «قال الله عز وجل يأيها الذين آمنوا... فعمّ بهذا الخطاب الرجال والنساء وغلّب الرجل وتغليبهم من سنن العرب»(٤).

ومسلك النحاة القائم بين التصريح والتلميح جرّه اعتبار التغليب ظاهرة اجتماعية أكثر منها لغوية. ولا عجب بعد ذلك أن يخصص ابن هشام التغليب في تضاعيف باب أسماه: «في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية»(٥).

ج ـ إن بعض مفردات اللغة العربية تحمل في مدلولاتها ما يدل على تغليب الذكر للأنثى. من شواهدها لفظة «قوم»، فهي وإن عمت الجماعة من الرجال والنساء معاً(٦)، إلا أنهم غلبوا فيها الرجال من دون النساء. وقد جاء الاستعمال اللغوي الفصيح يسند المسألة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن

---

(١) يراجع، المبرد،: المقتضب، ج٤ ص٣١٤، ٣٢٣.

(٢) يرجع، سيبويه: الكتاب، ج٢ ص٨١.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج٢ ص١٠٠.

(٤) الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية، ص٣٢٠.

(٥) ابن هشام: مغني اللبيب، الباب الثامن، ص٨٨٤.

(٦) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج٣ ص١٦٨ مادة (قوم).

يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾(١). فقصد بالقوم الرجال بدليل أنه عاد وذكر النساء على حدة مستثنياً إياها من القوم.

ومن شواهده أيضاً قول زهير بن أبي سلمى: [من الوافر]

وَمَا أَدْرِي، وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟(٢)

ولعل في تعليق الثعالبي على معنى «القوم» تأكيداً لما تقدم، قال: «... العرب تقول امرؤ وامرآن وقوم وامرأة وامرأتان ونسوة ولا يقال للنساء قوم. وإنما سمي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور كما قال عزّ ذكره: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾(٣).

الخاتمة: أوضاع اجتماعية تملي أحكام اللغة

سايرت ظاهرة التغليب في القواعد النحوية والمبادىء اللغوية أصول الحياة العربية، فإذا هي بنت حياة وجنى الواقع المعيشي. ولم تكن دخيلة على جسمه، ورقعة نابية في ثوبه. فالأسماء كان يعبر عنها بلفظ المذكر قبل معرفة تأنيثها وتذكيرها، كأن المذكر هو الأصل، فيجب أن تكتب الغلبة له. نقل عن ابن يعيش قوله: «والتأنيث فرع على التذكير لوجهين: أحدهما أن الأسماء قبل الاطلاع على تأنيثها وتذكيرها يعبر عنها بلفظ مذكر نحو: شيء وحيوان وإنسان. فإذا علم تأنيثها ركب عليها العلاقة...»(٤).

ظاهرة رفع الغطاء عنها، بعد نبش دفائنها الكامنة في بطون مصادر النحو العربي. وفي إخراجها منفعة لمعلّم العربية وطالبها على السواء.

يجدر بمعلم العربية أن يستنير بضوء الأصول المتقدمة عند تفسير غير حكم من أحكام النحو، التي تعود خيراً على طالبه في فهم الحكم النحوي فهماً صحيحاً عن طريق ربطه بالواقع الاجتماعي، فيكون بذلك قدساير أصول التربية الصحيحة.

إن المزيد من التنقيب في مجاهل النحو العربي، وزواياه المتروكة ـ بغية الوصول إلى حقائق جديدة، تفّسر على ضوئها ظواهر النحو المختلفة ـ نور يعشو فيه طالب العربية وهو يخوض في لجج نحوه. وفي النور وضوح وتيسير وبعد عن كل شائك وعسير.

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١١. (٢) زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص١٢.
(٣) الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية، ص٢٢٠.
(٤) ابن يعيش: شرح المفصل، ج١ ص٥٩.

الفصل الرابع

الأنثى في قواعد اللغة العربية

نموذج: جمع الأسماء العجمية في اللهجة الشعبية

مطلع

الحديث عن الألفاظ العجمية[(١)] واجتياحها للمجتمع العربي، حديث عصري، تفرضه المستحدثات الحضارية والنمو الثقافي والتواصل الإنساني. فالتطور الذي داخل كلّ أنواع المعارف تقريباً، أفرز مسميات جديدة في غير فرع من فروع العلم. بالإضافة إلى ما أحدثته الصناعة، وأوجدته المكتشفات والاختراعات. . . .

إزاء ذلك كله كان لا بدّ من أسماء لمسميات المستجدات حتى تستقيم الأمور، وتمميز الأشياء. فتولى كِبَر هذه الإشكالية اللغوية ـ الحضارية مكتشفها ومخترعها. . . أو بكلمة موجدها. وهو إجراء تسوّغه الحياة ويرتضيه العقل. ودليله أن مولود الإنسان يسميه والداه بما يحلو لهم، وما يناسبهم[(٢)] من اسم. . . وكذلك مولود العلم والصناعة. . . ولا غرابة في الأمر، فمولود الإنسان من صلبه، ومولود العلم من فكره، وكلاهما من أصوله. وقد وعى علماؤها ولغويونا الإشكالية منذ مطلع النهضة، وأعاروها جلّ اهتمامهم. بدت

(١) آثرت صيغة «العجمية» على الأعجمية؛ لأن الأعجم الذي لا يُفصِحُ ولا يُبَيِّن كلامه وإن كان عربي النسب، والأنثى عَجْمَاء. أما العجمي فالذي من جنس العجم. وينسب إلى الأعجم الذي في لسانه عُجْمة فيقال: لِسانٌ أَعْجَمِيّ وكتاب أعجمي. ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مج ١٢، ص٣٨٦ مادة [عجم]. واللفظ المستعمل من جنس العجم. والعجمي: المنسوب إلى العجم. . . يراجع، ابن قتيبة: أدب الكاتب، حققه وضبط غريبه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ٤، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م، ص٣٤. ولهذا كثر استعماله في اللسان الشعبي، قالوا: سجّادة عجمية وتنباك عجمي.

(٢) العلاقة طردية بين الاسم والمسمى، ولم تكن عبثية، يدل عليها ما رعاه العرب في تسمية أبنائهم من معايير. . . . يراجع، الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية، ص٢٤٠، ومحمد محيي الدين عبد الحميد: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ـ حاشية شرح شذور الذهب لابن هشام ـ ص ٣٧٤، حاشية (١٩٤).

الدعوى من خلال التنبيه إلى مشكلة المصطلحات، محذرين من خطرها الذي يعمل على تقويض دعائم اللغة العربية. ولم يكتفوا بما فعلوا، بل راحوا يتلمسون الدواء الناجع لها.

عُرِفَ مِمَّنْ أَهَمَّهُ وَضع العربية من أدباء النهضة جبران خليل جبران، الذي ارتأى حل مشكلة نهوض العربية، وقدرتها على الوقوف أمام مدّ المصطلحات الجارف، يتوقف على استنهاض الهمم وشحذ الفكر اللذين يوصلان إلى سدّة المخترعات والصناعات. . . ، قال: «إنما اللغة مظهر من مظاهر الإبتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الإبتكار توقفت اللغة عن مسيرها، وفي الوقوف التقهقر وفي التقهقر الموت والإندثار»[١].

اللغويون وشيوع المسميات العجمية

سجلت اتجاهات مختلفة ومواقف متباينة أمام ظاهرة المصطلحات التي تهب على المجتمع، وتدخله من ثغور متعددة، كثغرة الطب وثغرة الهندسة وثغرة الصناعة وثغرة الإقتصاد وغيرها.

تعددت الاتجاهات المعروفة فبلغت ثلاثة[٢]، أحدها رفض التعريب مؤثراً التوسع في الألفاظ العربية لتأدية المعني الأجنبي، إمّا بالاشتقاق، وإما بترجمة اللفظ بمرادفة. . . وثانيها قال بالتوسع في التعريب والاشتقاق من المعرّب، وثالثها اتخذ موقفاً معتدلاً، إذ أخذ يبحث عن أسماء المسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة، فإذا لم يتيسّر له ذلك استعار اللفظ الأجنبي بعد صقله ووضعه على منهاج لغة العرب.

ومهما يكن من أمر الاتجاهات السابقة، فإنها حاولت التصدي للمصطلحات العجمية لتخلع عليها مشلح العربية، وعقال القومية، علّها تستطيع المحافظة على عربيتها. ولكن بالرغم من كل الطرق المتقدمة، فإن اللفظ العجمي عرف طريقه إلى المجتمع العربي، ولم يستطع أحد أن يقف في طريقة مدّه ويكبح جماحه؛ لأن التواصل بين الشعوب[٣]، ومقتضيات الحياة

---

(١) جبران خليل جبران: البدائع والطرائف، لا. نا. بيروت، لا. تا، ص٧٢.

(٢) نقلاً عن، د. إميل يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) في العصور الحديثة كثرت فرص الإحتكاك بين العربية وهذه اللغات وتنوعت أسبابه بفضل انتشار الثقافة الأوروبية. . . وبسبب البعثات العلمية التي أوفدتها هذه البلاد إلى ـ

الاجتماعية لا يمكن حبسها في هرم وقطع أنفاس الحياة عنها. ولو صح ذلك لتفتت وفارقت الحياة، واستحالت إلى جثة هامدة. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. والحياة لمّا تَزَل تسري في عروق المجتمع العربي، وهي تتعامل مع مسميات المَدَنِيّة الحديثة وأدواتها ومفاهيمها«فانتقل إليها كثير من المفردات الأوروبية في مصطلحات العلوم والفنون... وما إلى ذلك»(١).

ودعوى المصطلحات ظاهرة اليوم ومتفشية بشكل لافت للنظر. وللتأكيد على الإشكالية، ما على المرء إلا الدخول إلى محالّ تجارية، أو معرض للأدوات الصناعية، أو ما عداها... ليتناهى إلى مسامعه الكثير من الأسماء العجمية الأجنبية(٢). من أمثلة الفيديو «Video» والتلكس «Telex» وموتور «Motor» والكومبيوتر «Computer» والإنترنت «Internet»، فضلاً على العديد من الأسماء التي عرفت التعريب(٣). إلى جانب الأسماء التي عرفت وانتشرت عن طريق الترجمة، من شواهدها: البرّاد والحاكي ومكبِّر الصوت والجرار...

تعامل العربي مع الألفاظ العجمية والمعربة في حياته العامة، مفصحاً بها عن أغراضه وحاجاته، مطبقاً عليها قواعد نحوه المعروفة كلما أعوزه الأمر. وكأنه بفعله قد أنزلها منزلة العربي.

من القواعد التي أجراها عليها، والتي استدعتها الحياة اليومية قاعدة الجمع. فأحايين كثيرة تضطره الظروف إلى استعمال الجمع في كلامه، يقول: فيديوات وتَلِفُونَات وتِلِكْسَات وتلفزيونات ومكيفات وبرادات وشوفاجات وموتورات وجرارات ومكبرات وحاكيات ومايكروويفات وسشوارات....

والمدقق المتدبر في أحكام الجموع المتقدمة، يجد أنها جمع مؤنث سالم؛ نتيجة لصياغته وبنائه بالألف والتاء. وجمع المؤنث السالم في أغلبيته

= الغرب، وترجمه منتجات الفرنجة إلى اللغة العربية. ينظر، علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٩٣هـ. ١٩٧٣م، ص١٣١.

(١) علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص١٣١.

(٢) العجمي ما ليس بعربي يؤازر ذلك ما ذكره الجواليقي في مقدمة كتابه، قال: «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي...». يراجع، الجواليقي: المُعَرَّب، حققه د. ف. عبد الرحيم، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠، ص٩١.

(٣) تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها، تقول عرّبته العرب وأعربته أيضاً. الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ج١ ص١٧٩ مادة [عرب].

جمع لمؤنث لفظاً أو معنى. وقضية الحكم النحوي تثير سؤالاً، يتمثل بـ: لماذا جمعت الأسماء العجمية والمعربة جمع مؤنث سالماً؟؟ مع أنها ـ في الحقيقة ـ مذكرة تذكيراً مجازياً. يبرز التذكير الصفة كما في قولنا: «فيديو جديد» و «تلكس متطور» و «براد مستعمل» و«بشوارا أبيض» و«كمبيوتر حديث». . . ولم يقل فيديو جديدة وتلكس متطورة. . !!

قضية تتطلب البحث والنظر الثاقب والغوص في أعماق القواعد النحوية، وربطها بالعلاقات الاجتماعية المتداولة في البيئة العربية.

حقيقة نعيش بين ظهرانيها تستدعي التبصر في محورين: الأول نحوي لغوي، والثاني اجتماعي للوصول إلى ما يُطْمَأَنُ إليه في تفسير الظاهرة اللغوية المتداولة. وهما محوران مترابطان؛ لأن اللغة في جوهرها حقيقة اجتماعية فينبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين بها ومشاعرهم النفسية، ولا يمكن عزلها عن عناصرها الاجتماعية(١).

لقد مال اللسان العامي إلى جمع الأسماء العجمية جمع مؤنث سالماً. وبناء جمع المؤنث يتم على نحو ما جاء في قول ابن مالك [من الرجز]:

وَمَـا بِـتَـا وَأَلِـفٍ قَـدْ جُـمِـعَـا يُكْسَرُ في الجَرِّ وفي النَّصْبِ مَعَا(٢)

ومعنى البيت أن جمعه يتم بزيادة ألف وتاء زائدتين على مفرده، نحو: هندات ومسلمات.

والأحكام المتقدمة، هل تسوّغ أن تجمع الأسماء العجمية جمع مؤنث سالماً؟ والإجابة عن الاستفهام تتطلب ذكر ما يجمع هذا الجمع. جاء في كتاب السيوطي «همع الهوامع» ما يلي: «. . . ويجمع بهما ـ أي بالألف والتاء ـ ذو التاء وعلم المؤنث مطلقاً وصفة مذكر لا يعقل، ومصغره وإسم جنس مؤنث بالألف. . .»(٣).

بعد التدقيق يلاحظ أن القاعدة لم تشر إلى جمع العجمي جمع مؤنث سالماً، ولكن ذيلت بشيء من الاستثناء الشاذ حين نصت على: «. . . وما عدا الأنواع

---

(١) Maurice leroy: the main Trends in modern linguistics English, translation by G. price. oxford, 1967, p: 93- 990

(٢) ابن مالك: الألفية، ص١١.

(٣) السيوطي: همع الهوامع، عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، لا.تا، ج١ ص٢٢.

الخمسة من المؤنث شاذ أيضاً مقصور على السماع كسموات. . . وأشذ منه جمع بعض المذكرات الجامدة المجردة كسُرَادقات[١] وحمامات وحسامات. . .»[٢].

من نافذة ذيل القاعدة، وُجد مسوّغ ضعيف سكب صفة الشرعية النحوية على جمع الأسماء العجمية؛ حتى جمعت جمع مؤنث سالماً، وهو يظهر من خلال نص الوثيقة القائل: «وأشد منه جمع بعض المذكرات الجامدة المجردة».

علة السلوك اللغوي

إنها حقيقة نحوية تلمَّسها اللسان العامي في أحكام نحوه. وهذه الشرعية النحوية تكمن خلفها أمور، منها:

١ ـ مَيْل اللسان نحو الخفة وتجنب الثقل. يظهر الأمر في اختيار الجمع بالألف والتاء؛ لأن الألف أخف الحروف[٣]. وبناء على أصل الخفة وجب أن يكون الجمع بالألف والتاء. ولو جاء الجمع بالواو أو الياء ـ أي جمع مذكر سالماً ـ لحصل ثقل. فالواو والياء أثقل من الألف. وفي هذا الإجراء تزاد الكلمة ثقلاً على ثقلها. فالكلمة العجمية ثقيلة في نفسها حسب مذاهب النحاة. يبرز ثقلها في علل الممنوع من الصرف. إذ منع النحاة الاسم من الصرف لِشَبَهِهِ بالفعل[٤]. ولما كان الفعل أثقل من الاسم، اعتبر الممنوع من الصرف ثقيلاً. والاسم الأعجمي غير مصروف؛ فهو إذاً ثقيل[٥]. ونتيجة لذلك جمع بالألف والتاء.

٢ ـ سَيْرُ اللسان على سنن المسموع من كلام العرب. وهو أمر طبيعي؛ لأن السمع أبو الملكات اللسانية[٦]. فكانت جموع المذكرات الجامدة نبراساً استضاء به

---

(١) السُّرادِق: فارسي مُعَرّب، وهو ما أحاط بالبناء، والجمع سُرادقات. قال سيبويه: جمعوه بالتاء وإن كان مذكراً حين لم يكسر. يراجع، الجواليقي: المعرب، ص٣٩٨، ٣٩٩، وابن منظور: لسان العرب، ج١٠ ص١٥٧، مادة [سردق].

(٢) السيوطي: همع الهوامع، ج١ ص٢٣.

(٣) يراجع، الأشباه والنظائر في النحو، راجعه وقدم له د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ج٢ ص٣٨.

(٤) يراجع، ابن السراج: الأصول في النحو، ج٢ ص٧٩.

(٥) قال السهيلي: «الفعل أثقل من الاسم، والعجمي أثقل من العربي، والمؤنث أثقل من المذكر، والجمع أثقل من الواحد، فإذا اجتمع في الاسم من هذه ثقلان منع ما منع الفعل من الخفض والتنوين. فالثقل هي العلة. . .». ينظر، السهيلي: أمالي السهيلي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، ص٢٢.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، ص١٠٥٦، ١٠٥٧.

العربي في سلوكه اللغوي العامي. يدعم أسلوبهم ما سمع عن العرب من جمع على شاكلة سُرادقات وحمامات وإوانات. قال سيبويه شارحاً: «هذا باب ما يُجمع من المذكر بالتاء لأنه يصير إلى تأنيث إذا جُمع. فمنه شيء لم يكسّر على بناء من أبنية الجمع فجمع بالتاء إذ مُنِعَ ذلك، وذلك قولهم «سُرادِقَاتٌ... وإِوَانات»[١].

ومثَّلَ الجانب الاجتماعي دورًا مهماً في مَيْل الإنسان إلى جمع المؤنث السالم. وتفسير البنية الاجتماعية يوضح مسلك العامة في اختيارهم هذا الحكم الإعرابي.

تعتبر المرأة عند العربي فرعاً على الرجل في الميدان الاجتماعي. عُرْفٌ متبعٌ وسُنَّةٌ جارية منذ غابر الأيام وسالف الأزمان. وبالمعيار نفسه وزنت القواعد النحوية. وهذا جلي في تقرير حقائق عدّة في النحو العربي. قال علماء العربية: المؤنث فرع على المذكر، والعجمي فرع على العربي، والفعل فرع على الاسم والمفرد فرع على الجمع[٢]... وغيرها من الأمور. ولما كان المؤنث فرعاً على المذكر، والعجمي فرعاً على العربي، تطابقت المعادلات؛ فأعطي الفرع حكم الفرع؛ وبناء عليه جمع العجمي، (وهو فرع على العربي) جمع مؤنث (وهو فرع على المذكر).

إلى جانب تناسب اجتماعي آخر، يتمثل في أن الأعجمي حين يُغرب (يتكلم العربية) لا يميز بين مذكر ومؤنث. بل يعطي ـ في الغالب ـ حكم المؤنث إلى المذكر. ومن يستمع إلى أجنبي يتكلم يجده يؤنث المذكر، يقول ـ على سبيل المثال ـ مخاطباً المذكر بعاميته: «أنتِ ما بيروح» و «نمتِ كتير»... وسواها من التعابير التي تخدش الأسماع. وهي ظاهرة قديمة على لسان الأعجمي المعرب، حفظتها مصادر اللغة منذ زمن الأمويين. يسند المسألة ما رواه الجاحظ على لسان أحد الشعراء يذكر جارية لَكْنَاء، قال [من الرجز]:

أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا بِالسَّحَرْ   تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وتَأْنِيثُ الذَّكَرْ

وَالسَّوْأَةُ السَّوْآءُ فِي ذِكْرِ القَمَرْ[٣]

والسلوك اللغوي الصادر عن الأجنبي ـ القائم على تأنيث الذكر ـ يناسب الإسم العجمي، وينطوي تحت مقولة «لكل مقام مقال»[٤].

---

(١) سيبويه: الكتاب، ج٣ ص٦١٥.   (٢) السهيلي: أمالي السهيلي، ص١٩.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، مج١، ج١ ص١٦٥.

(٤) وذلك أن لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً. ينظر، القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠، ج١ ص٨٠.

أصداء الحكم اللغوي وانعكاساته

توضح فيما مضى ارتباط بعض الأحكام النحوية بالقيم الإجتماعية السائدة في المجتمع العربي. وهي قضية عايشناها ولما نزل ننطق بها كلما تعرفنا إلى جهاز أجنبي أو أداة غربية أو مخترع غير عربي أو سواها من مقتضيات الحياة الإنسانية. حقيقة تسوّغها العلل، وتدعمها الأدلة التالية:

أ ـ اتخذ النحاة مبدأ عاماً، ينص على أن المذكر هو الأصل، والأخف على اللسان. وقد راعوه كثيراً في غير حكم من أحكام لغتهم وقواعدها. يدعم سلوكهم ما ذكره إمام النحو، قال: «واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث؛ لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير. ألا ترى أن «الشيء» يقع على كُلّ ما أخبر عنه قبل أن يعلم أَذَكَرٌ هو أم أنثى، والشيء ذكر..»[١].

ب ـ اتكأ النحاة على المبدأ السابق؛ فغلبوا المذكر على المؤنث[٢]، وقد ظهرت قسماته في أكثر من حكم نحوي وأصل لغوي. ومن أمثلته، ما يلي:

١ ـ تغليب جمع المذكر عند اجتماع الإناث والذكور، ومن ثم أخذ الحكم النحوي. يوضّح الحقيقة ما قاله الرضي: «التغليب يكون عند الاجتماع كالمسلمون[٣] في الرجال والنساء والطويلون في الرجال والجمال...»[٤].

٢ ـ التغليب في باب المثنى، شاهده ما ورد في كلام العرب مثنى على سبيل التغليب، كقولهم: القمران[٥] يريدون الشمس والقمر، والأبواب الأب

---

(١) سيبويه: الكتاب، ج١ ص٢٢.

(٢) وتغليب المذكر المؤنث ورثتها البشرية من أسلافها الحيوانات ليس فقط ما يرمز إليه (الذكر) بل واقتران الوضعية الجنسية المؤنثة بالخضوع، والوضعية المذكرة بوضع السيطرة. ويظهر هذا بجلاء في العلاقات ما بين الرجال، ويعتبر أمراً هاماً للغاية من أجل فهم دلالات الاتصالات الجنوسة (Homosexualism)... ولكن الإغريق القدماء فرّقوا ما بين هذه العلاقات بدقة وذلك وفقاً لطبيعة الدور الجنسي، واعتبر الدور المتقبل «مؤنثاً» ورمزاً للوضع الاجتماعي الأدنى... يراجع، كون: الجنس والثقافة، ترجمة د. منير شحود، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٥.

(٣) الأصل أن تضبط بالياء؛ لأنها في محل جر بالكاف، ومثلها «الطويلون»، ولكن الراجح أن الاستراباذي تركها كما هي ليتضح التمثيل.

(٤) رضي الدين الأستراباذي: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٧م، ج٢ ص١٥١.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد ـ

والأم[١]، والزُّهْدَمَان في زَهْدَم وكَرْدَم[٢]، والخافقان في المشرق والمغرب. من أمثلة الأول، قول المتنبي: [من الكامل]

وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا   فَأَرَتْنِي القَمَرَيْنِ في وَقْتٍ معاً[٣]

ومن أمثلة الثاني قوله جلّ وعلا: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٥].

٣ ـ التغليب في باب العدد. قالت العرب: هذا رابع أربعة إذا كان هو وثلاث نسوة؛ لأنه قد دخل معهن. قالوا: «أربعة» بالتذكير لأنه إذا اجتمع مذكر ومؤنث جعل الكلام على التذكير لأنه الأصل[٦].

٤ ـ التغليب في باب المخاطبة، فالمخاطبون يغلبون الغائبين والأنعام، يشهد له قوله جلّ ثناؤه: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[٧].

ج ـ استأثر جمع المذكر السالم بالمذكرين العقلاء من دون أن يشاركه فيها أحد، والقاعدة توضح المقصود. جاء في شروط أحكام جمع المذكر ما يلي: «ويشترط في كل ما يجمع هذا الجمع من اسم وصِفَةٍ ثلاثة شروط، أحدها الخلو من تاء التأنيث والثاني أن يكون لمذكر والثالث أن يكون لعاقل...»[٨].

= القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا.تا، ج١ ص١٥٧.

(١) الزهدمان أخوان من بني عبس، قال ابن الكلبي: هما زَهْدَم وقيس ابنا حزن... وقال أبو عبيد ابنا جَزْء... . ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مج١٢ ص٢٧٩، مادة [زهدم].

(٢) ينظر، المبرد: المقتضب، ج٤ ص٢٦٣.

(٣) المتنبي: الديوان (شرح العكبري)، ج٢ ص٢٦٠. قال الواحدي شارحاً: يجوز أن يريد بالقمرين: القمر والشمس وهي وجهها، وجعل وجهها شمساً في الحسن والضياء، ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر، فهما قمران في وقت واحد.

(٤) سورة النساء، الآية ١.

(٥) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

(٦) المبرد: المقتضب، ج٢ ص١٨٢.

(٧) سورة الشورى، الآية ١١.

(٨) الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، مج١ ص٦٩ ـ ٧٠.

استقلت القاعدة ـ كما هو مبين ـ بالذكور العقلاء من دون أن يخالطها شبه بتأنيث، لفظاً أو معنى. وإن سمع عن العرب بعض الأسماء المجموعة جمع مذكر سالماً، فهي ملحقة به لفقدانها أحد الشروط السابقة. ونزولاً عند الأحكام التي رسموها، جعلها النحاة مما هو ملحق به تحريراً للحكم من شوائب التأنيث. من شواهده عشرون وبابه وأولو وعالمون وأرضون وسنون[١]. . . .

ومن يُقلب الطرف في قاعدة جمع المؤنث كرةً أخرى يَرَ أنها لم تستقل بالمؤنث العاقل، بل امتد إليها المذكر لينال منها. وهذا جلي في جمعهم المذكر الذي فيه تاء جمع مؤنث «كطلحة». فقد جمعوه على «طلحات»، كما في قول عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح طلحة الطلحات[٢]: [من الخفيف]

نَضَّرَ اللَّهُ أعظُماً دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ[٣]

ولم تقف القاعدة عند حدّ الجمع المذكور، بل تعدته إلى جمع صفة مذكر ما لا يعقل ومصغره. من أمثلة الأول، قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾[٤]. ومثال الثاني قولهم فُلَيْسات ودُرَيْهمات[٥].

هكذا اجتاح المذكر قاعدة المؤنث، فنال قسطاً منها. وهو في تمدده يحاكي واقع الحياة التي انبثق منها، والذي امتدت فيه حقوق الرجل لتنال من حقوق الأنثى. والأغرب من ذلك أن الامتداد لم يكن وقفاً على ذكور العقلاء بل شاركه فيه غير العقلاء ومصغرهم.

والشيء اللافت للنظر أيضاً أن قاعدة المؤنث السالم يشترك فيها العاقل وغير العاقل، على حين صفت قاعدة المذكر للعقلاء. . . ومردّ القضية في واقع الحال هو تقديرهم الذكر، وبخسهم شيئاً من حق الأنثى.

---

(١) يراجع، ابن عقيل: شرح ابن عقيل، ج١ ص٦٣.

(٢) هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، سمي طلحة الطلحات بسبب أمه صفية بنت الحرث بن طلحة بن أبي طلحة. أحد أجواد العرب، وأجود أهل البصرة في زمانه. كان يميل إلى بني أمية فيكرمونه. ولاه زياد بن مسلمة على سجستان. بقي فيها والياً حتى وفاته سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م. يراجع، البغدادي: خزانة الأدب، مج٣ ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لا.تا، ص٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٠٣.

(٥) السيوطي: همع الهوامع، ج١ ص٢٢.

د ـ انضوت جموع غير العقلاء تحت لواء جمع المؤنث، على الرغم من ذكوريتهم التي تظهر في مفردهم. يبرز المسألة جمعهم الاسم غير العاقل المصدر بـ «ابن» أو «ذي» جمعاً مؤنثاً سالماً. قالوا في جمع «ابن آوى» و «ذي القعدة» «بنات آوى» و «ذوات القعدة». ويبدو الأمر واضحاً في اشتراطهم الإضافة لغير العاقل. أما إذا أضيف إلى العاقل فيمنعونه هذا الجمع. جاء في أحكام القاعدة: «ابن وذو، المضافات إلى غير العاقل، تجمعهما على بنات وذوات. أما المضافات إلى العاقل فيجمعان على بنين أو أبناء وذوي، فنقول في جمع ابن عباس وذو عِلْم بنو عباس وأبناء عباس وذو علم»[(١)].

هـ ـ تبع جمع المؤنث السالم جمع المذكر السالم في جميع أحكامه، فرفع بالضمة ونصب وجر بالكسرة. وهي في حقيقتها علامات إعرابية محمولة على نظيرتها في المذكر. فالضمة تقابل الواو في المذكر المرفوع، والكسرة في الجر والنصب تقابل فيه الياء أيضاً. ولم يكن العكس في عرفهم اللغوي. ذكر ابن يعيش المقابلة في الحكم، قال: «. . . وإذا كان إعرابه ـ جمع المؤنث السالم ـ بالحركات فرفعه بالضم. . . والنصب محمول على الجر فيكون في موضع النصب مكسوراً وإنما حمل النصب فيه على الجر لوجهين: أحدهما أن المؤنث السالم فرع على جمع المذكر السالم فكما حمل منصوب جمع المذكر على مجروره كذلك حمل منصوب جمع المؤنث السالم على مجروره. . . فبالمشابهة حمل جمع المؤنث على جمع المذكر بأن جعل للرفع علامة مفردة وللجر والنصب علامة واحدة اشتركا فيها فقيل: جاءني مسلماتٌ ورأيت ومررت بمسلماتٍ. . .»[(٢)].

بعدما تقدم، يمكن القول استبدُّ المذكر بجمع المؤنث استبداد المُوصَى له بالقاصر ولم تستطع تجاوزه؛ لأن المؤنث فرع على المذكر، والفروع في العرف اللغوي أحطّ رتبة من الأصول[(٣)]. واستناداً إلى مبدئهم لم يسمحوا بارتقاء الفرع إلى مستوى الأصل؛ لأن في ذلك تسوية بين الأصل والفرع وذلك لا يجوز[(٤)].

---

(١) الشيخ مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط ١٤، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ج٢ ص٢١.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ج٥ ص٧ ـ ٨.

(٣) السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص٣١٥.

(٤) انعكست هذه النظرة في مسائل شتى من النحو العربي. منها عدم تجويز تقدم معمول اسم الفعل عليه وغيرها. . . .
يراجع، السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج١ ص٣١٥.

وهذا الأمر يسوّغه واقع الحال، وعلى ضوئه يمكن فهم القاعدة النحوية.

إشكالية لغوية جلتها الأدلة، وأفصحت عنها الوقائع. إنها تتمثل في جمع الأسماء العجمية والمعربة ـ على الأغلب ـ جمع مؤنث سالماً. وقد ارتبط الحكم النحوي بعلاقة اجتماعية بين الرجل والمرأة، سجلتها اللغة من خلال جنوحها إلى السلوك اللغوي المتقدم. ولولا الترابط بين اللغة والمجتمع لما أمكن فهم ظاهرة جمع الأسماء العجمية وتفسيرها. وليس الأمر بغريب ولا خافٍ؛ لأن اللغة «أعظم كاشف عن أحوال الأمم، ومحلها من المدنية والعمران؛ ومالها من الأخلاق والآداب والعقائد والعوائد والسياسات والشرائع والعلوم والفنون وسائر أحوال التصرف والاجتماع... وفي الجملة فإن اللغة هي الإنسان بعينه يتمثل بها الفرد من آحاده، وتتناول الأمّة بأسرها، لِمَا أنها صورة العقل وترجمان القلب...»[1].

خرجه

ينفذ البحث من خلال جولته ليسجل ملاحظتين، أبرزتهما مدارسة باب جمع المؤنث السالم. أولهما لغوية محضة تتمثل في تسمية «جمع المؤنث السالم». وقد ردّدنا هذه التسمية في المدارس والمعاهد والجامعات، كما ردّدها مدرسونا وأساتذتنا. والقضية تحتاج إلى إعادة نظر وتدقيق. فجمع المؤنث ـ كما بيّنا ـ لم يقتصر على المؤنث فحسب، بل شمل بعض المذكر أيضاً. فضلاً على أن مفرده لم يسلم، بل يتكسر أحياناً. كأن يُحرك وسطه بعد سكونه في المفرد، نحو حُجْرَة ـ حُجُرات، أو تقلب ألفه ياء، كما في حُبْلى ـ حُبْليات، أو همزته واواً، مثل سماء ـ سماوات....

ونتيجة للتغيرات الحاصلة لم يسلم مفرده، كما أنه لم يقتصر على المؤنث؛ لذلك لَم تعد التسمية دقيقة بحيث تطرد مع المسمى. والحق أن يطلق عليه اسم الجمع «بألف وتاء» مزيدتين؛ ليعمّ جمع المؤنث وجمع المذكر، وما سلم فيه المفرد وما تغيّر...[2].

---

(١) إبراهيم اليازجي: مجلة الطبيب، بيروت، السنة الأولى، الجزء الأول، آذار، ١٨٨٤م، ص١٥.

(٢) وقد ذهب إلى ذلك ابن مالك وابن هشام والأزهري... يراجع على التوالي: الألفية، ص١١، وأوضح المسالك، ج١ ص٦٨، وشرح التصريح على التوضيح، ج١ ص٧٩.

وثانيهما اجتماعية حفظتها القواعد اللغوية الاجتهادية. وفيها يبدو مَيْل الرَّجُل الدؤوب للحافظ على الأنثى، واعتبار صونها صوناً للشرف، وذوداً عن الحيض، وسلامةً لأصالة المحْتدِ والعرض.

وتبدو القضية كالشمس في رابعة النهار عند دخول الهاء المؤنثة على بعض الأوزان لتضفي عليها معنى المبالغة، كما في «رواية» و«علّامة»[١]. . . .

وقد خلّدت الموقف الاجتماعي أيضاً قاعدة بعض جموع الجمع. قالوا: . . . رجالات[٢] فجمعوا جمع المذكر العاقل «رجال» بالتاء عندما أرادوا التفخيم الذي تحمله صيغة جمع الجمع. وبذلك غزت الأنثى جمع المذكرين مضيفةً معنى الفخار والعز إليها. . . .

وقد اشترى اليوم استعمال بعض الجموع بصيغة المؤنث السالم، وبخاصة في ميادين ترجمة العلوم والفنون ومعطيات الحضارة. . . فالمطالع لبعض الكتب المعربة يقع على أمثلة: السياقات ومفهومات[٣] ومضمونات وغيرها من الأسماء التي جمعت جمع مؤنث سالماً. فضلاً على المصطلحات اللغوية: فونات وفونيمات[٤]. . . وهذا انعاس لاجتياح الأنثى أبواب الحياة الاجتماعية المختلفة، وبخاصة التي كانت وقفاً على الرَّجُل.

وكأني بهذه الظاهرة تؤكد امتداد المرأة في مجالات شتى نافست فيها الرَّجل، كما انتزعت منه جمع العجمي. شرعة سجلتها اللغة بعفويةٍ وصدق، فحقّ لها أن تكون صورة للمجتمع ومظهراً لفكره وحافظة لعاداته. ومن أصدق من اللغة قِيلا، وهي التي تمتاز بالواقعية واليقين!! . . . ومَنْ أوفى من القواعد النحوية أستجابة لكل جديدٍ مخترع، ودخيل مبتدع!

---

(١) قال المبرد مبرراً دخول الهاء: . . . ولأن الشيئين إذا جريا مجْرى واحداً سُوّي بين لفظهما. المبرد: المقتضب، ج٤ ص٢٦٢.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج٣ ص٦١٩.

(٣) ينظر، د. فهد عكام: ترجمة كتاب النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، تأليف جان لوي كابانس، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٦٨ و٨٨. . .

(٤) يراجع، ماريو باي (Mario pie): أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، كلية التربية، ١٩٧٣، ص٥٠.

الفصل الخامس

الزواج اللغوي

مدخل

ترتبط اللغة في أصل وجودها بالإنسان، إذ لولاه لإنتفى سبب وجودها، يدرك ذلك من خلال اعتبار اللغة إحدى أدوات الاتصال والتفاعل بين الناس. قال أندريه مارتينيه (André Martinet): «إن الوظيفة الأساسية لهذه الأداة التي هي اللغة، هي عملية التواصل: الفرنسية مثلاً هي قبل كل شيء أداة تسمح للفرنسيين بإقامة علاقة مع بعضهم البعض. سنرى أن كل تغيير في اللغة عبر الزمن يهدف أساساً إلى التكيف بالشكل الأوفر والأنسب مع إرضاء حاجات التواصل لدى الجماعة التي تتكلمها»(١).

ويعزز بواكير ارتباط اللغة بالإنسان، أن الله ـ جلّ ثناؤه ـ عندما خلق الإنسان كان أول ما علمه البيان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾(٢)، أي علمه الكلام والفهم(٣).

ويظهر تزامن وجود اللغة مع الإنسان أيضاً حين انقسم العلماء في تفسير وجودها إلى قسمين توقيف واصطلاح(٤). أو بكلمة: هل هي من وضع الله أو من صنع البشر. ذكر السيوطي مذاهب اللغويين، قال: «هل هي بوضع الله أو

---

(١) André Martinet: Elements de linguistique géneral (collection U. Paris, (I) 1970), P: 9.

(٢) سورة الرحمن الآية ١ ـ ٤.

(٣) اختلف المفسرون في المقصود من «الإنسان» و «البيان»، فقيل: «الإنسان» يراد به جميع الناس فهو اسم للجنس، و «البيان» على هذا الكلام والفهم، وهو مما فُضّل به الإنسان على سائر الحيوان. ينظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، مج٩، ج١٧ ص١٠٠.

(٤) يراجع، ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدّم له مصطفى الشويمي، مؤسسة. أ. بدران، بيروت، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م، ص٣١، وابن جني: الخصائص، ج١ ص٤٠.

البشر على مذاهب، وأحدها وهو مذهب الأشعري أنها بوضع الله، واختلف على هذا هل وصل إلينا علمها بالوحي إلى نبي من أنبيائه أو بخلق أصوات في بعض الأجسام. . . والثاني أنها اصطلاحية وضعها البشر، ثم قيل وضعها آدم. . . والمذهب الثالث الوقف أي لا يدري أهي من وضع الله أو البشر لعدم دليل قاطع في ذلك. . .»[١].

والرأي الراجح أن اللغة بدأت بوجود الإنسان، نمت بنموه وخبت بخبوه، شأن الإنسان الذي بدأ من آدم وحواء، ثم تكاثر بواسطة العمليات الجنسية عن طريق المزاوجة[٢]؛ فكان المجتمع البشري العديد. هل انتقلت الأصول الجنسية ومبادىء الزواج إلى واقع اللغة فتكاثرت كتكاثر الإنسان وامتدت كامتداده؟؟

اللغة كائن حي يتكاثر بالتزاوج. . .

إن اللغة كائن حيّ، وهذا الكائن ينمو ويتطور ويتكاثر، شأنه شأن الإنسان الذي يتكاثر بالجنس. ويخضع لناموس التكاثر ـ كما تدل الأبحاث العلمية ـ من يشبه الأحياء: «. . . في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة أو توابعها، وخاصة ما يتعلق منها بأعمال العقل في الإنسان، كاللغة والعادات، والديانات، والشرائع والعلوم والآداب ونحوها. . . فهذه تعدّ من ظواهر الأمة، وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الإرتقاء العام»[٣].

ولما كانت اللغة حياً من الأحياء، خضعت للنواميس التي يخضع إليها الإنسان، الذي أخذ يتكاثر عن طريق العمليات الجنسية[٤]. وقد ظهرت هذه

---

(١) ينظر، السيوطي: كتاب الإقتراح، دار المعارف، حلب ـ سوريا، جمادى الآخرة، ١٣٥٩هـ، ص ٧.

(٢) يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ [سورة النساء: ١]. فالمقصود أن عملية الخلق ابتدأت بزواج آدم عليه السلام من حواء، ثم تكاثرا وتفرّق الناس في الأرض. قال مجاهد: خلقت حوّاء قُصَيْرَى آدم. وفي الحديث خلقت المرأة من ضِلَع عَوْجاء. . . وحصر ذريتهما في نوعين الرجال والنساء. يراجع، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج٣، ج٥ ص٣.

(٣) جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية، تقديم عصام نور الدين، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص٣٤.

(٤) اتحاد الذكر بالأنثى هو الذي يكفل للأسرة الدوام والسلام والبهجة. . . ولا شك في أنه =

العمليات التي كانت وراء نمو اللغة وتكاثرها من خلال المفاصل والأصول التالية.

١ ـ التوالد بالاشتقاق

الاشتقاق ظاهرة لغوية تشبه توالد الكائنات البشرية، وهو: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب، وحَذِرٌ من حَذِر»[(١)]. وقد اشترط في المولود الجديد النسب للأب عن طريق الإتفاق في المعنى والهيئة والمادة الأصلية. وبهذا تُولد الألفاظ؛ نتيجة لفعل جنسي[(٢)]، وتكاثر محافظة على أسرتها. فإسم «الجن مشتق من الإجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على السّتر. تقول العرب للدرع جُنّة، وأَجَنَّهُ الليل، وهذا جنين أي هو في بطن أمه أو مقبور..»[(٣)]. وعلى أساس الرابطة الجنسية يقوم قسم كبير من متن اللغة العربية. ويطلق علماء الصرف اسم الاشتقاق على ناحية من نواحي هذه الرابطة، وهي الناحية التي تبدو فيما يسمون بالمشتقات: أفعال الماضي والمضارع والأمر وإسم الفاعل وإسم المفعول وإسم الزمان وإسم المكان وإسم الآلة[(٤)].

= أبدع وأروع الوسائل. التي تستخدمها الطبيعية في الحض على تكاثر النوع وتقدم الفرد.... فالكائن العضوي بأسره مشرب بالناحية الجنسية. والغدد التي تنتج عناصر الكائن المستقبل تزود صاحبها بالقوة والجرأة في نفس الوقت، فتكاثر النوع يشبه المحافظة على الحياة في أنه دافع غريزي وشعوري في آن واحد، يرجع أصله إلى أعماق الأنسجة والروح، وهو ميل أساسي وحاجة جوهرية. ينظر، فرويد: الجنس وأثره في السلوك الإنساني، ترجمة فؤاد ناصر، منشورات دار حمد، بيروت، ط ١، ١٩٦٤م، ص ٢٩٩.

(١) محمد صديق حسن خان: العلم الخفاف من علم الاشتقاق، ضبطه وعلق عليه أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م، ص٢٤.

(٢) الجنس يحدث انقساماً عميقاً في «الأنا» التي هي بطبيعتها ثنائية الجنس، فهي ذكر أو أنثى. وهكذا نرى أن محاولة الإنسان في التغلب على العزلة عن طريق الاتحاد الروحي هي أساساً محاولة للتغلب على العزلة التي يسببها الجنس لتحقيق الاتحاد بالتكامل الجنسي، ووجود الجنس يقتضي الإنفصال والحاجة والشوق والرغبة في أن يجد المرء نفسه في الآخر. جوزيف جاسترو: مقدمة كتاب فرويد الجنس وأثره في السلوك الإنساني، ص٣٠، ٣١.

(٣) يراجع، أبن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص٦٧.

(٤) الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص٢٢٦ ـ ٢٤٠، وعلي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٨، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣، ص١٧٨.

حدد علماء اللغة أنواع الولادات الناجمة عن تزواج الصيغ بعضها ببعض؛ فكانت عندهم:

أ ـ الاشتقاق الصغير أو الأصغر(١).
ب ـ الاشتقاق الكبير(٢).
ج ـ الاشتقاق الأكبر(٣).
د ـ النحت(٤).

وعمليات الزواج المختلفة تؤدي إلى ولادات مواد لغوية نتيجة لعلاقة جنسية بين الأصول، يدل على ما نقوله جملة أسباب، منها:

١ ـ إن عملية الاشتقاق عملية خلق في اللغة، وهي «خلق كلمة جديدة من جذر يتضمن فكرة معينة بإضافة عنصر جديد إلى الجذر...»(٥). وهذا الخلق لا يكون إلا بعد زواج يقتضي قدرة جنسية.

٢ ـ إن الاشتقاق عملية ولادة طبيعية بعد مواطأة ذَكَر لأنثى، ويكون محصلتها ولادة من جنس الإنسان، وليس من المعقول أن تكون الولادة حيواناً أو شيئاً آخر مختلفاً عن الأبوين الذكر والأنثى. تبرز المعضلة من خلال قول الجواليقي: «مما ينبغي أن يُحْذَرَ كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم، قال: فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت»(٦). وبذلك

(١) هو «أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب، نحو ضَرَب من الضرب...» ينظر، الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط. جديدة، ١٩٨٥م، ص٢٨.

(٢) هو «أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو جبذ من الجذب»، ينظر، الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ص٢٨.

(٣) هو «أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج، نحو: «نعق ونهق». الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات ص٢٨.

(٤) هو «أن تنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معاني الأصول التي انتزعت منها، نحو: عبشمي في النسب إلى عبد شمس، وبسمل من بسم الله...». ينظر علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص١٨٦، ١٨٧.

(٥) د. أنيس فريحة: في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م، ص١١١.

(٦) الخفاجي: كتاب شفاء الغليل، قدّم له وصحّحه ووثق نصوصه... د. محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص٣٣، والخفاجي: المعرب...، ص٩١.

تتضح عملية الإنجاب الغريبة بعد المزاوجة بين شخصين، إذ هل يعقل أن تلد المرأة حيواناً؟ وكذلك حال الإشتقاق.

٢ ـ أصالة المواد اللغوية

تعود أصالة المولود اللغوي إلى شرعية الزواج أو الممارسة الجنسية الحاصلة ضمن الأطر المعروفة في المجتمع. فقد ميّز علماء اللغة بين ولد شرعي وولد غير شرعي أو لقيط(١). انعكس هذا الفعل في مواد اللغة: فكان العربي الفصيح والمعرب(٢) والمولّد(٣) والدخيل(٤)... وهي صفات تطلق في حقيقتها على عملية ولادة لغوية تراوح بين شرعية وغير شرعية.

وينال الولد اللقيط المنبوذ من القوم الهوان(٥)، شأنه في ذلك شأن استعمال اللفظ الأعجمي والدخيل بدل العربي الفصيح. روي أنهم عابوا على الأعشى (ميمون بن قيس) استعماله الألفاظ العجمية في شعره(٦).

وقد يلجأ الأدباء والعلماء إلى استعمال الألفاظ العجمية، كما يلجأ الرجل إلى ممارسة الجنس مع امرأة غريبة على سبيل الدعة والتظرف، ونوع من إثبات الذات. وهو بفعله يتعدى حدوده المرسومة، حاله في سلوكه شبيه بحال من يستعمل لفظاً عجمياً. نقل عن العلماء قولهم في وصف استعمال الشعراء الكلام الأعجمي: «وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن

(١) غلب هذا اللقب على المولود المنبوذ. الفيومي: المصباح المنير، مطبعة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢١٢، مادة [لقط].

(٢) هو «نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب. وسماه سيبويه وغيره إعراباً، فيقال حينئذٍ مُعرَّب ومُعْرَب. سيبويه: الكتاب، مج٤ ص٣٠٣، والخفاجي: كتاب شفاء الغليل، ص٣٣.

(٣) هو ما عرّبه المتأخرون، وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب من أمثلة ذلك الحُبُّ، قال الجواليقي: «أما الحب الذي يجعل فيه الماء ففارسي معرب، وهو مولد»، يراجع، الجواليقي: المعرب، ص٢٦٧، والخفاجي: شفاء الغليل، ص٣٦.

(٤) «كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه». الفيروزأبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، مج٣ ص٣٧٥، مادة [دخل].

(٥) قالت العرب: هو أبن دَرْزَة وذلك إذا كان أبن أمَةٍ تُساعي فجاءت به من المساعاة ولا يعرف له أب. ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مج٥ ص٣٤٨ مادة [درز].

(٦) ينظر، المرزباني: الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٧٦.

يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها إلا أن يريد الشاعر أن يتظرّف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في النُّدرةِ[١]، وعلى سبيل الخَطْرَةِ...»[٢].

٣ ـ القرابة اللغوية

يرجع معيار القرابة بين المواد اللغوية المتشابهة إلى أصول جنسية، تظهر من خلال اجتماع الرجل بالأنثى، وما ينشأ عن علاقة الوصال والإتصال من أمور، قد تجلب الرفعة والعزة أو الهوان والذل. وكذلك علاقة الألفاظ التي انعكست في المجموعات التالية:

أ ـ الإيلام والترويع.

من مواد مجموعة الإيلام والترويع، قولهم: لم أجد لهذا الأمر مساً[٣]... ولا إختلاطاً[٤] ولا حُرْقةً[٥]... ويقال: وأقَضَّ مضجعي[٦] وهَدَّ ركني[٧].

ب ـ الإبتعاد عن الرذائل والموبقات[٨].

---

(١) لعل هذا يشبه زواج المتعة، وهو الزواج معروف في الجاهلية، وكان غالباً ما يعقده التجار في أسفارهم والغزاة في غزواتهم؛ لأن القصد منه الاستمتاع بالمرأة مدة من الزمن، فإذا انقضت تخلّى الرجل عن المرأة وغادر موطنها... يراجع، د. عبد السلام الترمانيني: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٨٠، ذو القعدة ١٤٠٤هـ ـ أغسطس ١٩٨٤م، ص٤٨.

(٢) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله... محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ج١ ص١٢٨.

(٣) تقول العرب للمتطفين المتهمين: «لامَسَاس لا خير في الأوقاسَ». ومن المجاز: مَسَّ المرأة جامعها وماسها أتاها وبينهم رَحِمٌ ماسّه. الزمخشري: الكشاف، ص٥٩٤، مادة [مسس].

(٤) خالط المرأة خِلاطاً، وخالط الفحل الناقة، واستخلط الفحل، وأخلطه صاحبه: أدخل قضيبه في الحياء...

الزمخشري: أساس البلاغة، ص ١٧٢، مادة [خلط].

(٥) حارق المرأة جامَعَها، وجامعها الحُرَيْقاء، وهي المجامعة على الجنب. الزمخشري: أساس البلاغة، ص١٢٣، مادة [حرق].

(٦) اقتض الجارية وذهب بقضتها، وكان ذلك عند قضتها أي ليلة عرسها. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٥١٢، مادة [ق].

(٧) جعل الغزالي الفاعل ركناً في مواضع كالبيع والنكاح ولم يجعل ركناً في مواضع كالعبادات. ينظر، الفيومي: المصباح المنير، ص٩١، مادة [ركن].

(٨) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٠٠.

قالوا: قد نَزَّهَ نفسه عن المطامع المُرْدِية[١]، والمآكل اللئيمة[٢]، والأحوال المكرومة[٣]... والمذاهب المنكرة[٤]...

ج ـ الإثارة والتهيّج[٥].

منها: نَفَرْتُه[٦] وأزعجته[٧].

د ـ الإحتقار والجفوة[٨].

منها: هَجَرَهُ[٩] وطأطأ[١٠] منه وأطْرَحه[١١] وبَسَر[١٢]. وأعْرَضَ[١٣] عنه ونَفَاهُ[١٤].

---

(١) تردت المرأة توشحت وهي هيفاء المُرَدّى ضامر الموشح. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٢٢٩، مادة [ردي].

(٢) استلأم الرَجلُ الخال لابنه إذا تزوج في اللئام، ونقيضه استكرم الخال لابنه. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٥٥٥، مادة [لأم].

(٣) أكرم فلان نفسه بالتقوى، وأكرمها عن المعاصي، وهو يتكرّم عن الشوائن... الزمخشري: أساس البلاغة، ص٥٤١، مادة [كرم].

(٤) قالوا: هم يركبون المنكرات والمناكير، وهو من مناكير قوم لوط، وقد نكر الأمر نكارة صار منكراً. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٦٥٤، مادة [نكر].

(٥) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٨٦.

(٦) قالوا: نفرت المرأة من زوجها، وهي فَرِقَة نافرة. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٦٤٦، مادة [نفر].

(٧) يقال: امرأة مزعاج لا تقرّ في مكان... الزمخشري: أساس البلاغة، ص٢٧٠، مادة [زعج].

(٨) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٤٦.

(٩) هجرته هجراً قطعته، والاسم الهجران، وفي التنزيل: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ أي في المنام توصلاً إلى طاعتهن... الفيومي: المصباح المنير، ص٢٤٢، مادة [هجر].

(١٠) طأطأت المرأة سترها: خطّته، قال الشاعر: [من الطويل]

أرادتْ لِتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ فلم تَقُمْ ... إليهِ ولكنْ طَأْطَأَتْهُ الوَلَائِدُ

الزمخشري: أساس البلاغة، ص٣٨٢، مادة [طأطأ].

(١١) يقال: فحل مِطْرَحٌ بعيد موقع الماء. وعن أعرابية: إن زوجي لطروح إذا نكح أحبل... الزمخشري: أساس البلاغة، ص٣٨٦، مادة [طرح].

(١٢) يقال: ابتسر الفحل الناقة: ضربها من غير ضَبَعَةٍ، وابتسر الجارية وابتكرها واختصرها: افتضها قبل الإدراك. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٣٩، مادة [بسر].

(١٣) قالوا: ما فعلت مُعَرَّضتكم؟ يريدون الجارية يعرضونها على الخاطب عَرْضه ثم يحجبونها ليرغب فيها.

الزمخشري: أساس البلاغة، ص٤١٥، مادة [عرض].

(١٤) يقال: فلان من نفايات القوم ونُفَاهم، أنشد الشاعر: [من الطويل]

عشيرتُك الأدنَوْن خيرُ عشيرةٍ ... وأنتَ دنيٌّ من نُفَى القوم رَاضِعُ. =

هـ ـ الحرام الذي لا يجوز إتيانه[١].

منها: هو حِرْمٌ وحَرَامٌ[٢] ومُحَرَّمٌ وحِجْرٌ محجورٌ[٣] وحَرِجٌ[٤].

و ـ الخلوص: من الشوائل[٥].

يقال: هو مَحْض[٦] خالص، صريح[٧]، حرٌّ[٨].

ز ـ الدناءة وسوء المقابلة[٩].

لئيمٌ[١٠]، خسيس[١١]، زنيمٌ[١٢]، وضيعٌ[١٣].

= الزمخشري: أساس البلاغة، ص٦٤٦، مادة [نفي].

(١) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٨٥.

(٢) جاء في القاموس المحيط: حُرَمُك نساؤك وما تُحْمى وهي المحارم الواحدة مُحْرَمة، ورَحِم مُحْرَمٌ ومُحَرَّمٌ تَزَوجها وتَحَرَّم منه بِحُرْمةٍ تَمَنَّعَ وتَحَمَّى بذمةٍ... الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٤ ص٩٥، مادة [حرم].

(٣) من معاني الحِجْر: الفرس الأنثى، وهي تُصَان ويُضَنُّ بها. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، إيران، لا. تا، مج٢ ص١٣٨، مادة [حجر].

(٤) يقال: أحرجها بتطليقةٍ، أي حرمها. ويقولون: أكسَعْها بالمُحْرِجات، يريدون بثلاث تطليقات. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٢ ص٥٠، مادة [حرج].

(٥) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٩٢.

(٦) رجل ماحض ومَحِض ككتف يَشْتَهيه... وهو ممحوض النسب خالصه... الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٢ ص٣٤٣، مادة [محض].

(٧) الصريح المحض الحسَب وجمعه صُرحاء... وكل خالص صريح. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٣ ص٣٤٧، مادة [صرح]. وصرح نَسَبه خَلُصَ. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج١ ص٢٣٣، مادة [صرح].

(٨) يقال: باتت فلانة بليلة حُرَّة: لم تمكن زوجها من قِضَّتها، وباتت بليلة شيباء إذا اقتُضَّت. الزمخشري: أساس البلاغة، ص١٢١، مادة [حرر].

(٩) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٨.

(١٠) يقال: استلأم الرجل الخال لأبنه: إذا تزوّج في اللئام. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٥٥٥، مادة [لأم].

(١١) يقال: خَسَّ الرجل نفسه، وأَخَسَّ إذا أتى بفعل خسيس. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٢ ص١٥١، مادة [خس].

(١٢) الزنيم والمُزَنَّم: الزائد في القوم وليس منهم تشبيهاً بالزَّنمتين من الشاة، وهما المتدليتان من أذنها ومن الحلق. قال تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٢١٥.

(١٣) وَضَعه الشُّحُ دناءةَ النسب... وامرأة واضع: لا خمار عليها. الزمخشري: =

ح ـ الرزانة والوقار وجميل الصفات[١].

يقال: ما أوفر أصالته[٢] وأمضى شهامته[٣] وأقوى صرامته[٤]... وما أتم أمشاجه[٥] وما أحرْ طينته[٦] وأكرم كريمته[٧] وما أتم أخلاطه[٨].

ط ـ في شرف الأصل وكرم المُحْتِد.

وتظهر الأصول الجنسية في مواد الأصل والمحتد أكثر من غيرها نظراً لاستنادها إلى أصول الزواج والتناسل الناتج عن تأسيس عائلة وتأليف قبيلة... . من شواهده قولهم: كريم النسب زاكي الأرومة، طيب الجرثومة، شريف العنصر، عظيم المفخر، نجيب العمومة، عتيق الخؤولة، عريق الفصيلة، أصيل السِّنخ[٩]... زاكي المغرس، وطيء المفرش... سريّ المنتمى، كريم المركب، طيب المغارس...[١٠].

وتبدو أيضاً الأصول الجنسية جلية في المواد اللغوية التي تدور في العذل

= أساس البلاغة، ص٦٨٠ مادة [وضع].

(١) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٢٠٢.

(٢) أَصُلَ: صار ذا أصل أو ثبت ورَسَخَ أصله. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٣ ص٣٢٨، مادة [أصل].

(٣) الشُّيهم: ذكر القنافذ أو ما عظم من ذُكرانها. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٤ ص١٣٧، مادة [شهم].

(٤) ناقة مُصَرِّمة: صُرِّم طُبياها فيبس الإحليل وذلك أقوى لها. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٣٥٤، مادة [صرم].

(٥) الأمشاج أخلاط من الدمّ وذلك عبارة عما جعله الله تعالى بالنُّطفة من القوى المختلفة... الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٤٦٩، مادة [مشج].

(٦) الطينة: الخِلْقَةُ والجِبِلّة... الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٤ ص٢٤٥، مادة [طين].

(٧) يقال: رجل كريم... وأكرم الرجل إذا أتى بأولاد كِرام... واستكرم: اتخذ علقاً كريماً. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٥ ص١٧٢، مادة [كرم].

(٨) خالط المرأة خِلاطاً وخالط الفحلُ الناقة، واستخلط الفحلُ وأخلطه صاحبه: أدخل قضيبه في الحياء.
الزمخشري: أساس البلاغة، ص١٧٢، مادة [خلط].

(٩) السِّنْخُ: الأصل. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج١ ص٢٦٢، مادة [سنخ].

(١٠) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٥٤، ٥٥.

والتوبيخ، على شاكلة قولهم: لسبته ولعنته وسفهته وسبّهته...[1].

أما انتهاك الحريم فجلّ موادها تعود إلى الأصول الجنسية الناتجة عن استباحة فرج الأنثى ومواطأتها، وفي ذلك انتهاك المحرم. قالوا: اقتحم عَقْوته، واستباح حوزته... وأباح حماه وانتهك حريمه واستبى حُرَمَهُ وسبى ذراريه وجاس خلال دياره، ووطىء حريم بلاده...[2].

وكذلك مواد القرابة والاتصال، فهي بجملتها تعود إلى علاقة ناتجة عن ولادة بعد عملية جنسية شرعية، فيكون للمولد من جهة أبيه وأمه (ثنائي عملية المواطأة) علاقة يعود إليهما. من أمثلة ذلك قولهم: هو قريبة ونسيبه وحميمه وقرابته... ويبرز ما يؤازر صحة هذه الآصرة قولهم: بينهم نسب وشيج ومُسْتَوْلد مريج وتناسب وشيح وقد مَسَّتْهم رَحِم، وجمعتهم مشيمة واشتمل عليهم محبل...[3].

واستناداً إلى الأصول المتقدمة، سموا المولود أسماء تناسب عنصري عملية الجماع، قالوا: المُقْرِف مَنْ أمه عربية وأبوه عجمي، والهجين مَنْ أبوه عربي وأمه عجمية[4]. وهو أمر ناتج عن اختلاط النسب.

وتمدّ الأعضاء الجنسية الإنسان بأسماء ومرادفات كثيرة كأن يتسمى بعضوه الجنسي أو غيره. روي أن أحدهم قال للخنساء: «والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك! فقالت له الخنساء: والله ولا ذات خصيين»[5]، حيث سمى الأنثى «ذات مثانة» والذكر «ذا خُصْيين».

٤ ــ مقطع الألفاظ ومأخذها

تتشابه معاني بعض الألفاظ تبعاً لتشابه مأخذها وأصلها. كأن المواد اللغوية الجديدة نتجت من فعل جنسي بين زوجين، حيث يتنقل صفة الذكر والأنثى إلى أولادهما، فيشبه الولد أمه وأباه. وهذا الأصل ظاهر في مواد اللغة؛ لأن الأحرف تآخي الإنسان. وارتقى الشَّبَه إلى درجة أصبح ظاهرة يمكن

---

(١) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٣٠.
(٢) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٢٣٥.
(٣) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٥٩، ٦٠.
(٤) قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، ص٥٩.
(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١ ص٣٥١.

الاستناد إليها. وقد عقد لها علماء العربية فصولاً، منها باب أثبته ابن جني اسمه: «باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»، ومثل عليه بقوله: «من ذلك قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]، أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزُّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين»[2].

ومنه أيضاً حدسهم في معرفة المعنى والتنبؤ به من خلال زنة اللفظة؛ لأجله عقدوا باباً أسموه «باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني»[3]، جاء فيه: «... قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو النَّقَزان والغليان والغَثَيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال»[4].

٥ ـ تكوين اللفظة وشروطها

تجنب الإنسان الزواج من أقاربه؛ لِمَا قد يؤدي من ضعف في المولود. وقد أُكِّد على هذا الأمر في قولهم: «اغتربوا لا تُضْووا»، أي انكحوا في الغرائب دون القرائب، فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى وولد القرائب أضعف وأضوى[5]. وقد شاعت حقيقة ضعف ولد القريبة... وانتشرت؛ فجاء منها قول الشاعر[6]: [من الطويل]

فَتًى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمٍّ قَرِيبَةٍ فَيَضْوَى وقَدْ يَضْوَى رَدِيدُ القَرَائِبِ[7]

---

(١) سورة مريم الآية٨٣.

(٢) ابن جني: الخصائص، ج٢ ص١٤٦.

(٣) ابن جني: الخصائص، ج ٢ ص١٥٢.

(٤) ابن جني: الخصائص، ج٤ ص١٤.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، مج١٤ ص٤٨٨، مادة [ضوا].

(٦) ولا أدل على انتشارها من صوغها في قالب الشعر، وقد فضل غيره من الكلام «استفاضته في الناس وبُعد سيره في الآفاق... وليس شيء أسير من الشعر الجيد... وقد قيل: لا شيء أسبق إلى الأسماع، وأوقع في القلوب، وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر، وشعر نادر». ينظر، أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص١٣٧.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مج١٤ ص٤٨٨، مادة [ضوا]، ومعناه: تزوجوا في الأجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة، وذلك أن العرب تزعم أن ولد الرجل من قرابته يجيء ضاوياً مخيفاً، غير أنه يجيء كريماً على طبع قومه.

وأكد الرسول ﷺ على المبدأ السابق من خلال قوله: «لا تَنْكِحوا القرابة، فإن الولد يخلق ضاوياً»(١).

وتجاوز ضعف مولود الزوجين المتقاربين من الآدميين، إلى الحيوان. إذ لوحظ أن الحيوانين المتقاربين ينتجان أولاداً ضعافاً. حكي أن آمرأة أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني أتخذت غنماً أبتغي نسلها ورِسْلها، وإنها لا تنمي. فقال لها النبي ﷺ: ما ألوانها؟ فقالت: سُود، فقال لها عَفِّري. قال الماوردي: هذا مثل قوله ﷺ في مناكح الآدميين: «اغتربوا لا تُضْووا»(٢).

وتوسع العلماء في النصح بتباعد مناكح الحيوان إلى حدّ منعوا التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة، قال الجاحظ: «وقد تُعرف القرابة التي تكون في رأي العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافُدٌ ولا تلاقُح، كالضأن والمعز، وكالفأر والجرذان، فليس بالعجب في البقر والجواميس أن تكون كذلك...»(٣).

انعكس مبدأ تكوين اللفظة من الاتحاد بين الجنسين الذكر والأنثى في أحرف المادة اللغوية. فأحرف الكلمة العربية لا تأتلف من أحرف متقاربة المخارج. قال الخليل بن أحمد موضحاً: «إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مَخْرَجَيْهما...»(٤).

ترتب على الأساس المذكور القائم على العلاقة الجنسية بين حروف الكلمة أن قُسِّم كلام العرب باعتبار تأليف الحروف إلى ثلاثة أقسام، هي(٥):

أ ـ ما تألف من حروف متباعدة، نحو: «عجب» وهو الأحسن.

ب ـ ما تألف من تضعيف حرف من الحروف، نحو «مدّ»، وهو يلي القسم الأول في الحسن.

---

(١) مجد الدين بن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لا.تا، ج٣ ص١٠٦.

(٢) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٨٢.

(٣) الجاحظ: الحيوان، مج١ ص١٥٦.

(٤) الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ج١ ص٦٠، باب العين مع الحاء والهاء والخاء والغين.

(٥) ابن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ج٢ ص٨١٦.

ج ـ ما تألف من أحرف متجاورة، نحو «فم» وهو دون الإثنين الأولين، فإما رُفض البتة، وإما قلّ استعماله[١].

من وصف الظواهر إلى الأدلة والثوابت

إنها مفاصل وأصول لغوية، سار فيها السلوك اللغوي على هَذْي أصول الجنس، وقد كانت السنن اللغوية ـ في الحقيقة ـ صدى لمبادىء جنسية عرفت منذ وقت يعود إلى عهود سحيقة، ترقى إلى زمن وجود الإنسان وبدء اتصاله بأخية الإنسان وتفاعله معه؛ مما اضطره إلى استعمال اللغة[٢].. يدعم ما نذهب إليه جملة أمور، منها:

١ ـ ميّز علماء البلاغة واللغة العربيين بين اللفظ والمعنى تمييزاً معياره الجنس؛ فكان القوي قوياً بطاقته الجنسية من كلا الجنسين (الذكر والأنثى). نقل عن عبد الحميد الكاتب قوله: «خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بِكْراً»[٣]. ويعلق أحد الدارسين على كلام عبد الحميد الكاتب، قال: «وكأنه بهذا يعلن عن قسمة ثقافية يأخذ فيها الرجل أخطر ما في اللغة وهو (اللفظ) بما أنه التجسد العملي للغة والأساس الذي ينبني عليه الوجود الكتابي والوجود الخطابي لها، فاللفظ فحل (ذكر) وللمرأة المعنى، لا سيما وأن المعنى خاضع وموجه بواسطة اللفظ وليس للمعنى من وجود أو قيمة إلا تحت مظلة اللفظ»[٤].

٢ ـ التأم اللفظ والمعنى في الكلام عبر أصول جنسية. فانتظام الألفاظ مع المعاني وارتباطهما بوثاق أشبه ما يكون بالزواج المعروف في حياة الناس. وهو

---

(١) وتعدى الرفض والقبول الألفاظ إلى الكلام. قال ابن رشيق: ومن الشعر ما تتقارب حروفه، أو تتكرر، فيثقل على اللسان... منه قول أحدهم: [من الرجز]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ ... وليْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

فتكررت الألفاظ وترددت الحروف حتى صار البيت ألْقِيَةً يختبر به الناس، فلا يقدر أحد ينشده ثلاث مرات إلا عثر لسانه وغلظ. ينظر، ابن رشيق: العمدة...، ج١ ص٤٤٧.

(٢) تظهر اللغة من خلال عمليات التفاعل الإجتماعي، وهي بالتالي تعتبر نتاجاً اجتماعياً. يراجع، د. سناء الخولي: مدخل إلى علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٨م، ص٨١.

(٣) ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ص٣٣٥.

(٤) عبد الله محمد الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٦، ص٧.

ما أشار إليه العلماء بطرف خفي. ذكر أبو هلال العسكري في كيفية نظم الكلام وما ينبغي في تأليفه، قال: «. . . وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك. ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً. . فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن يصونهما عما يدنسهما ويفسدهما ويهجنهما فتصير بهما إلى حدّ تكون فيه أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس منازل البلاغة، وترتهن نفسك في ملابستهما»[١]. ويشبهه قول ابن طباطبا وهو يفاضل بين المعاني والألفاظ: «وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض. وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرزه فيه، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه. . .»[٢].

والقولان المتقدمان ما هما إلا صدى لأصول العلاقة الجنسية (زواج)، أتى بها الإسلام، يصدقه قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[٣]. والذي يوضح صحة الطرح ما جاء في قولي أبي هلال العسكري وابن طباطبا من إشارات خفيّة برزت من خلال الألفاظ: «يهجنها» «يدنسها» «الجارية الحسناء». . . وهي مواد تعود إلى معالم جنسية، والأخيرة «الجارية الحسناء» إلى أحد عناصر العملية الجنسية الرئيسية.

وتبرز العلاقة عند قدامة بن جعفر وهو يتكلم عن اللفظ والمعنى وارتباطهما مستعملاً مصطلحات تمت إلى الجنس بصلة كبيرة. وبكلمة يتحدث عن اللفظ والمعنى حديثه عن مراسيم زواج، قال: «ومما يجب تقدمته وتوطيده ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أوجب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه. . . وعلى الشاعر إذا شرع في أيّ معنى ـ كان ـ من الرفعة والضعة والرفث[٤] والنزاهة، والبذخ

---

(١) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين ١٣٤.

(٢) ابن طباطبا: كتاب عيار الشعر، تحقيق د. محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، ١٩٨٨م، ص ٢٠.

(٣) سورة النور الآية ٢٦.

(٤) الرفث كلام متضمن لما يُستقبح ذِكْرُه من ذكر الجماع ودواعيه، وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ تنبيهاً على جواز دُعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه، وعُدّي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء. الراغب الأصبهاني: =

والقناعة والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة»[١]. وفيه تظهر الدلالة الجنسية بشكل جليّ. ولا بد من القول ـ جلاء للحقيقة ـ إن قضية اللفظ والمعنى وأفضليتهما قضية تتفاعل منذ القديم، بدأت نارها تتأجج منذ بداية الدرس البلاغي، ولا زالت تتفاقم إلى اليوم[٢]، من غير وصول إلى الرأي الذي يطمأن إليه. والقضية تفسر على ضوء الأصول الجنسية، تفسيراً أقرب إلى الواقع والحقيقة. ففي العملية الجنسية عنصران أساسيان يتفاعلان ولا تتم من دونهما. وعلى هدي المبدأ المذكور لا يفضل اللفظ المعنى، ولا المعنى يفضل اللفظ إلا بمقدار ما يفضل الذكر الأنثى، والأنثى الذكر في العملية الجنسية.

٣ ـ قسّم علماء العربية الاسم إلى مذكر ومؤنث، وهو تقسيم يأخذ في اعتباره الجنس. وقد خصّ الاسم بالتذكير والتأنيث من دون غيره من أقسام[٣]؛ لأنها تدل على ذوات[٤]، والذات تجسد الجنس عن طريق عضو خاص يعرف به، سواء كان حقيقة أم مجازاً. يوضح الإشكالية قول الزمخشري: «المذكر ما خلا من العلامات الثلاث التاء والألف والياء... والمؤنث ما وجدت فيه إحداهن. والتأنيث على ضربين حقيقي كتأنيث المرأة والناقة ونحوهما مما بإزائه ذكر في الحيوان وغير حقيقي كتأنيث الظلمة والنعل ونحوهما مما يتعلق بالوضع والاصطلاح والحقيقي أقوى..»[٥]. وقوة التذكير والتأنيث تؤكدها بروز عضوه

= المفردات في غريب القرآن، ص١٩٩، مادة [رفث].

(١) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.تا، ص٦٥، ٦٦.

(٢) ينظر، ناهد رضا: «قضية اللفظ والمعنى في تحديث المناهج النقدية» مجلة الفيصل، السعودية، العدد ١٨٦، ذو الحجة ١٤١٢هـ ـ يونيو ١٩٩٢م، ص٣١ ـ ٣٤.

(٣) المقصود بالتذكير والتأنيث الأسماء، فأصل الأسماء التذكير، والتأنيث داخل عليها، ألا ترى أن الشيء مذكر؟ وقد يقع على كل ما أخبر عنه، فتقول: «قائم وقائمة» و «ذاهب وذاهبة» فتدخل التأنيث على التذكير. يراجع، الزجاجي: كتاب الجمل في النحو، حققه وقدّم له د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت وإربد ـ الأردن، ط ١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص٢٩١.

(٤) يدل على ذلك قول ابن يعيش: إن الأسماء تدل على مسميات تكون مذكرة ومؤنثة... يراجع، ابن يعيش: شرح المفصل، ج٥ ص٨٨.

(٥) الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص١٩٨.

الخاص، وهو الذي يعزز التفرقة بين الجنسين. يرجحه قول الزمخشري السابق «والحقيقي أقوى»؛ لأن الحقيقي يعرف بعضوه، وهو علامته المميزة له.

بالإضافة إلى القسمين الرئيسيين اللذين يؤكدهما بروز الجنس حقيقة أو مجازاً، عرفت أسماء اشترك فيها التأنيث والتذكير(١)، طاولت أعضاء الجسم وغيرها من مسميات الموجودات(٢). من أمثلتها في جسم الإنسان: العاتق، القحدوة، الإبط، المرفق الإبهام(٣).... ومن شواهد ما جاء من اللباس: السراويل والإزار(٤). وحقيقة التذكير والتأنيث تهدف إلى جمع البدايتين المذكرة والمؤنثة في كل واحد. «وقد اعتبرت آلهة كثيرة حاملة للقوة المذكرة والمؤنثة... وصوّرت مثل هذه الآلهة أحياناً بأجهزة تناسلية وعلامات جنسية مزدوجة (شيفا في الهند أو أفروديت الملتحية). واعتبر أسلاف الناس الأوائل في بعض الأساطير مزدوجي الجنس... وليس من النادر أن تُفسر الصيغة الإنجيلية عن خلق الإنسان (كمرأة ورجل) كتأكيد على البداية الواحدة، أي آدم ذو الجنسين الذي انبثقت حواء من جسده فيما بعد..»(٥).

---

(١) هي في حقيقتها تشبه الخُنثى؛ والخُنثى ليس بنوع، لكن له حقيقة ترده إلى هذين النوعين، وهي الآدمية فيلحق بأحدهما... على اعتبار نقص الأعضاء وزيادتها. ينظر، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج٣، ج٥ ص٣، ٤.

(٢) هناك أسماء تكون للمذكر والمؤنث والجمع بلفظ واحد، من ذلك: «المنون» والفُلْك. من شواهد الأول قول الأعشى: [من المتقارب]

لَعَمْرُكَ ما طُولُ هذا الزَّمَنْ ... على المرءِ إلا عَناءٌ مُعَنْ
يَظَلُّ رَجيماً لِرَيْبِ المَنُو ... نِ والسُّقْمِ في أَهْلِهِ والحَزَنْ

ومن أمثلة الثاني قوله تعالى: ﴿في الفلك المشحون﴾. وقال جلَّ ثناؤه في تأنيثها: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾. وسواهما من الأمثال. يراجع، أبو بكر بن الأنباري: المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ج١ ص٢٧٨ ـ ٢٨٧، والسجستاني: المذكر والمؤنث، عني بتحقيقه د. عزة حسن، دار الشرق العربي، حلب ـ سوريا، لا.تا، ص٧٩ ـ ٨١.

(٣) أبو موسى الحامض: كتاب ما يذكر وما يؤنث من الإنسان واللباس، نشر ضمن رسائل في اللغة، حققها وعلق عليها إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٤م، ص١٠٥ـ١٠٧.

(٤) أبو موسى الحامض: كتاب ما يذكر وما يؤنث من الإنسان واللباس، ص١٠٧، ١٠٨.

(٥) يراجع، إ. س. كون: الجنس والثقافة، ترجمة د. منير شحود، دار الحوراء، اللاذقية، ط١، ١٩٩٢م، ص١٣.

٤ ـ فُسِّرت الظواهر اللغوية المختلفة ـ بغية بوتقتها في قوالب خاصة تحمل سمة القواعد ـ تفسيراً لا يتفق وروحية اللغة دائماً؛ لأنها في الكثير الغالب اعتمدت على الأدلة المنطقية والعقلية(١) التي تظهر بشكل قياس وغيره. من أمثلة أخذهم بالقياس قولهم: «ألا ترى أن القارورة سميت بذلك لاستقراء الشيء فيها... وسميت الدار داراً لاستدارتها»، وينقضه قولهم أيضاً: «ولا يسمى كل مستقر فيه قارورة... ولا يسمى كل مستدير داراً»(٢).

ومثله ما جاء في محاولة وضع قانون عقلي للمصادر، قالوا: ذَهَبَ يذهبُ ذهاباً فجعلوا المصدر على وزن «فِعَال»، ثم قالوا: قَطَعَ يَقْطَع قَطْعاً فجعلوا المصدر على وزن «فَعْل»، وقالوا: دخل يدخل دخولاً، فجعلوا المصدر على وزن «فُعُول»(٣)... وهذا التناقض يجعل المصادر الثلاثية تأبى القولبة في منطق العقل؛ لأن إدراكها لا يكون إلا بحسّ فطري هو السماع؛ لذلك قالوا: «إن مصادر الفعل الثلاثي لا تدرك إلا بالسماع»(٤). وتسليط الأدلة العقلية مُنافٍ لحكمة الوضع؛ لأن اللغة «وضعت وضعاً نقلياً لا عقلياً»(٥). وما تقدم يجعلنا نرجح أثر الجنس ـ وهو أصل غريزي طبيعي ـ في أصول اللغة.

٥ ـ يشبه الاسم «الجمع» أباه الاسم المفرد من حيث البنية التركيبية، إذ تنتقل الأمشاج (chromosomes) من الأم والأب(٦) إلى المولود. وهو أمر ظاهر في بناء الجمع. من أدلته إعلال الجمع وتصحيحه حملاً على المفرد. فمن ذلك قولهم: «قِيَمٌ ودِيَمٌ» في «قيمة وديمة» «وزوجة وثورة» في «زوج وثور»(٧).

ومثله أيضاً إعلال المصدر لإعلال فعله، وتصحيحه لصحته. من شواهده أنك تقول: «قاوَمَ قِواماً» فيصح المصدر لصحة الفعل، وتقول: «قام قياماً»

(١) اللغة في حدّ ذاتها ليست منطقية عقلية.

(٢) السيوطي: كتاب الإقتراح في علم أصول النحو، ص٣٩.

(٣) أبو حيان الأندلسي: النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق ودراسة د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٢١٣.

(٤) أبو حيان الأندلسي: النكت الحسان.. ص٢١٣.

(٥) السيوطي: الإقتراح، ص٣٩.

(٦) Oswalt kolle: Grand livre d'amour, edition de N.N.N. Neuilly-sur-seine, 1991, T: 2- PP: 193-194.

(٧) السيوطي: كتاب الإقتراح، ص ٤٢.

فيعتل لاعتلاله؛ فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه[١]. وظاهرة التحول التركيبي في بنية المصدر والمفرد... صورة واضحة لانتقال الأمشاج من الأب والأم إلى المولود بعد عملية مواطأة جنسية، وهذا التفسير أقرب ما يكون إلى الواقع.

٦ ـ اختلف العلماء في نشأة اللغة، وذهبوا في آرائهم مذاهب شتى[٢]. منها المذهب الأشعري القائل: «إنها بوضع الله، واختلف على هذا هل وصل إلينا علمها بالوحي إلى نبي من أنبيائه، أو بخلق أصوات في بعض الأجسام تدل عليها وإسماعها لمن عرفها ونقلها..»[٣]. والأشعري برأيه يرجع نشأة اللغة إلى غريزة خاصة زوّد بها في الأصل جميع أفراد النوع الإنساني، «وأن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به كما أن غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة... كلما قامت به حالة انفعالية»[٤]. وتعبير العلماء يساوي التعبير عن الغريزة الجنسية ويماثله إلى حد كبير؛ لأن في كليهما التعبير عن حاجة وانفعال.. كل ذلك يقوي ارتباط اللغة وأصولها بالجنس وأصوله.

سمات لغة الجنسين: الذكر والأنثى

إنها أدلة سقناها لنقوي العلاقة بين اللغة والجنس. وتبقى قضية تحتاج إلى من ينفض غبار الإبهام عنها، وهي تقع في سؤال المستفهم: إن جهاز النطق عند الذكر والأنثى واحد، وهو الرئتان، القصبة الهوائية، الحنجرة، الحلق، اللسان الحنك الأعلى، الفراغ الأنفي والشفتان[٥]، ولما كان الجهاز واحداً وجنس المتكلم يختلف ما بين ذكر وأنثى، فهل تختلف اللغة باختلاف الجنس؟؟.

---

(١) ينظر تفصيل الدعوى، أبو البركات بن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١ ص٢٣٥، ٢٣٦، وأبو البقاء العكبري: مسائل خلافية في النحو، حققه وقدّم له د. محمد خير الحلواني، منشورات دار المأمون للتراث، دمشق، ط ٢، لا.تا، ص٧٤.

(٢) يراجع، ابن جني: الخصائص، ج١ ص٤٠.

(٣) السيوطي: كتاب الإقتراح، ص٧.

(٤) د. عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص٧٢.

(٥) يراجع، إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٦، ١٩٨٤م، ص١٦ ـ ١٩.

لما كانت الأصول اللغوية ترتبط بالجنس، فإن لغة الذكر تختلف عن لغة الأنثى على الرغم من أن جهاز النطق واحد. وهذا الاختلاف بيّن، استناداً إلى جنس المتكلم. ويبرز الاختلاف بشكل جلي في المفاصل اللغوية التالية.

١ ـ الناحية الصوتية

تميل المرأة في تعبيرها إلى الصوت الأعلى؛ إذ تنعكس عاطفتها ودفء كلامها في الألفاظ فتزيد من ميل الحرف إلى الصوت العالي. وتتجلى الحقيقة واضحة في سلوك المرأة، من خلال التصاق المواد اللغوية التي تدل على الصوت والصراخ بها، على شاكلة «نوح» و «صيح» و «صلق». وجذور الأفعال تحمل في طياتها «الصوت العالي» و «الصوت الشديد». جاء في مادة «نوح»: «النون والواو والحاء أصل يدلّ على مقابلة الشيء للشيء... ومنه النَّوح والمناحة، لتقابلُ النساء عند البكاء»[1]. وشبيه به ما ورد في مادة «صلق». قال ابن فارس: «الصاد واللام والقاف أصلٌ واحدٌ يدل على صيحةٍ بقوة وصدمةٍ وما أشبه ذلك... ويقال تصلقت الحاملُ إذا أخذها الطَّلْق فألقت بنفسها على جَنْبَيْها مرة كذا ومرة كذا...»[2]. كأنها لما أحست بألم أخذت تصيح بقوة... . وخلّدت الأمثال السائرة علو صوت المرأة وشدتها. ورد في المثل: «ما مِثْلُ صَرْخَة الحُبْلَى»[3].

واستثماراً لقدرة اتصفت بها المرأة، كانوا يلجأون إلى النساء وقت الحزن وعند نزول المصيبة، يستأجرونهم يساعدنهن في الصراخ، يصوره القول المأثور: «ليْسَتِ النائحةُ الثكلى كالمستأجرة»[4].

وقد لوحظ مثل السلوك المذكور في كلام البريطانيات. نقلت دراسات النحويين «أن النساء أكثر تقدماً في قضية اللفظ من الرجال وهذه الدراسات تشير بصورة بارزة إلى دفع حرف العلة باتجاه الحرف (i). وذلك يظهر واضحاً في كثير من التعابير التي استعملها توماس أو ميلتون. وفي عام ١٧٠٠م كانت النساء في فرنسا تنزع للفظ حرف (e) عوضاً عن (a).. وقد تحدث جريماريست عام

(١) ابن فارس: معجم معجم مقاييس اللغة، مج٥ ص ٣٦٧، مادة [نوح].

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٣ ص٣٠٦، مادة [صلق].

(٣) ويروى «ضَيْحة الحبلى»، أي صيحة شديدة عند المصيبة وغيرها. ينظر، الميداني: مجمع الأمثال، ج٢ ص٢٨٠.

(٤) الميداني: مجمع الأمثال، ج٢ ص٢٠٠.

١٧١٢م عن نسوة القصور اللواتي يلفظن (medeme) و(bouleverd) عوضاً عن (madame) و(boulevard)»[١]. . . ومن شواهده ما جاء في حديث زَبْراء[٢] الكاهنة وهي تنذر بني رئام: «واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إنَّ شَجَرَ الوادي لَيَأدو خَتْلاً، ويحرق أنياباً عُصْلاً، وإن صخر الطود ليُنذر ثُكلا، لا تجدون عنه مَعْملا»[٣]. . . ومعلوم ما في السجع الذي جاء في حديث زَبْراء من علو في الصوت تبعثه أصداء أصوات الفواصل المتساوية، إلى جانب إكثارها من حروف المدّ. . . .

وعلو الصوت في لغة المرأة له مقامه: عند الإنفعال، ووقوع المصيبة، وإلحاق الألم بها. ولكن المرأة تعمد إلى إخفاء كلامها عند الحديث مع أفراد جنسها، كبناتها مثلاً. . . وعلّة السلوك اللغوي تقوم على محاولة ستر ما تقول، وهو يعزز ما ذكرناه سابقاً. فقل الأشناندانى في مؤلفه البيتين: [من الطويل]

أُخَاطِبُ جَهْراً إذْ لَهُنَّ تَخَافُتٌ وشَتَّان بَيْنَ الجَهْرِ والمنطقِ الشَّخْتِ

وَمَا تَسْتَوِي المُرَّانُ تَخْطِرُ في ٱلْوَغَا وَسَبْعَةُ عِيدَانٍ من العَوْسَجِ الشَّخْتِ

قال معلقاً: هذه امرأة كان لها بنون ولها جارة لها سبع بنات فعرضت بها فقالت «أخاطب جهراً»، أي أكلم بنيّ لا أخفي كلامي؛ لأن الرجال لا يخفون كلامهم، وتكلم تلك المرأة بناتها مخافتةً[٤]. . . .

٢ ـ القواعد النحوية

تعتبر النساء أكثر محافظة على أحكام اللغة في أسلوبها من الرجال. وهي ـ نزولاً عند مبدأ المحافظة ـ تعمل على نقل اللغة سليمة كما ورثتها إلى أبنائهن. أما التجديد والتحديث فيُعْزَى إلى الرجال. وعلّة الأمر انفتاح الذكور على مجاري الحياة الاجتماعية المختلفة وانخراطهم فيها، على حين تبقى الأنثى ـ أمّاً كانت أم بنتاً ـ حبيسة البيت تسعى على أبنائها داخل المنزل؛ لأن جل

(١) أوتويسبرن: اللغة والمرأة، نقلاً عن حسام الخطيب: اللغة العربية ـ إضاءات عصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢١٨، ٢١٩.

(٢) كان لبني رئام عجوز تُسمَّى خُوَيْلَة، وكانت لها أَمَةٌ من مُولَّدات العرب تسمى زَبْراء. . ينظر، القالي: الأمالي، ج١ ص١٢٦.

(٣) ينظر، القالي: الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.تا، ج١ ص١٢٦، ١٢٧.

(٤) الأشناندانى: كتاب معاني الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٨٣.

مهمتهما مقتصرة على الأمومة وما يدور في فلكها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر محافظة الأنثى على اللغة وأحكامها صدى لمحافظتها على حياتها الجنسية بعيداً عن الاختلاف بالآخرين[١]، والإبقاء على شريك واحد هو في العرف الشرعي والاجتماعي زوج لها. من الأدلة المتواترة عن العرب ما جاء في قول العجاج: [من الرجز]

* تَقَاعَسَ العِزُّ بِنَا فَاقْعَنْسَسَا *[٢]

وقد بنى عليه أحد الشعراء، فقال: [من الرجز]

* تَرَافَعَ العِزُّ بِنَا فَارْفَنْعَعَا *

فاحتج الخليل على هذه الصيغة «فارفنععا» وردّه، فقال الشاعر: كيف جاز للعجاج أن يقول: «فارفنععا»[٣].

واستناداً إلى الحقيقة المتقدمة، كثرت المآخذ على الشعراء[٤]، كما كثر التوسع في استعمال الكلمات الغريبة في بنائها ومعناها[٥] من قِبَل الذكور. . . .

إن محافظة المرأة على اللغة حقيقة إنسانية، فهي لا تدخر جهداً للإبقاء على اللغة التقليدية التي تعلمنها من آبائهن، والتي ينقلنها بدورهن إلى أطفالهن، في حين أن التجديد يرجع إلى الرجال[٦].

---

(١) وقد جاءت دعوة إلى تحصين الفرج في القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقوله: ﴿والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً كريماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقوله أيضاً: ﴿وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ [النور: ٣١].

(٢) العجاج: الديوان، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م، ج١ ص٢١٠.

(٣) يراجع، ابن جني: الخصائص، ج٣ ص٢٩٨.

(٤) ما على الدارس المدقق إلا الرجوع إلى كتاب قدامة بن جعفر نقد الشعر، وكتاب ابن قتيبة الشعر والشعراء ليرى نماذج كثيرة. من أمثلتها ردّ استعمال الصيغتين: «أرعد» و «أبرق» وأنه لا يقال إلا «رعد وبرق»، ينظر، المرزباني: الموشح، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) يراجع، غرابة معنى «سن الضب» وما قيل فيها، الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى إيابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م، مج٦ ص١١٥ ـ ١١٧.

(٦) أوتويسبرن: المرأة واللغة، نقلاً عن حسام الخطيب: اللغة العربية، ص٢١٧.

أما تجديد النساء للغة فيكون من الداخل(١) وذلك حين تسخر المادة القديمة وتشكل منها قالباً جديداً، يشهد لذلك قول ليلى الأَخْيَلِيَّة(٢) وهي ترثي توبة بن الحُمَيِّر(٣): [من الطويل]

فَلَيْسَ رِجَالُ الحَرْبِ يَأْتُون بَعْدَها بِعَارٍ ولا غَادٍ بِرَكْبِ مُسَافِرِ(٤)

وقد علّق قدَامة بن جعفر على بيت الأخيلية بقوله: «.. ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل كان وتولى وقضى نخبه.. وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المديح بغير كان وما جرى مجراها، وهو أن يكون الحي مثلاً يوصف بالجود، فلا يقال كان جواداً ولكن يقال: ذهب الجود أو فمن للجود بعده، أو ليس الجود مستعملاً... كما قالت ليلى الأَخْيَلِيَّة»(٥).

٣ ـ المحرمات اللغوية

النساء إجمالاً تخجل من ذكر أسماء أجزاء معينة من الجسم، أو ذكر وظائف طبيعية لجسم الإنسان، بالطريقة المباشرة نفسها التي يستعملها الذكور(٦). ويبرز ـ نتيجة لخجلها ـ في لغة الأنثى ما يعرف بالمحرمات اللغوية

---

(١) وهو انعكاس لشعور جنسي عند المرأة موجه نحو الداخل وأكثر نفاذاً بواسطة مشاعر جنسية داخلية تخص جهازها الجنسي الداخلي على حين أن شعور الرجل الجنسي يكون موجهاً نحو الخارج ويعتمد أكثر فأكثر على المشاعر القضيبية. ينظر. Alain Branconnier: Le sexe des émotions, P: 128-129.

(٢) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية، من بني عامر. شاعرة فصيحة ذكية جميلة. طبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء. وفدت على الحجاج مرات فكان يقربها ويكرمها. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. توفيت نحو سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م. يراجع، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، مج٣ ص٢٢٦، البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج١ ص١١٩.

(٣) توبة بن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب العُقَيْلي العامري، كنيته أبو حرب. شاعر من عشاق العرب المشهورين. كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره... قتله بنو عوف بن عقيل. توفي سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م. ينظر، الأصفهاني: الأغاني، ج١١ ص١٩٤، وابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١ ص٤٥٢.

(٤) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص١١٨.

(٥) ليلى الإخيلية: الديوان، شرح د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص٢٢٣، وقد ورد البيت فيه بشيء من التحريف.

(٦) روي عن أبي بكر الصديق (رضي) أنه قال لبُدَيل بن ورقاء ـ حين قال للنبي ﷺ: إن=

(Taboo) أو اللامساس[١]. وتعمد النساء ـ تلافياً للمحذور ـ إلى إيجاد كلمات أو عبارات مهذبة وملطفة. تشير الأبحاث والدراسات إلى أن سيدة أحتالت للتعبير عن كلمة «عارٍ» (naked) في أثناء وصفها عمل الفتيات في أحد المصانع، بقولها: «عليهن أن يخلعن كل قطعة عن أجسادهن في غرفة معينة ويجرين ببراءتهن ولا شيء غيرها إلى غرفة أخرى»[٢]. وهذا السلوك اللغوي لا يبعد أن يكون انعكاساً للمحرمات الجنسية، وليس بغريب أن يكون صدى لها.

٤ ـ غزارة اللغة

المعروف عن المرأة طلاقتها في اللسان وكثرة كلامها، وقد اتسعت هذه الظاهرة لدرجة قيل فيها: «وظيفة المرأة هي أن تتكلم»[٣]. كما لوحظ أن «المرأة مخلوق طبيعي وتشعر أن هذه الهبة العظيمة ـ اللغة ـ للثرثرة والكلام في غير المواقف الرسمية. اللغة عندها شيء مستحب، والثرثرة بهجة ومتعة. وفي هذا كثير من الصحة»[٤]. ويعزي بعضهم ذلك بالهرمونات التي تفرزها الأنثى،

= هؤلاء لو قد مسهم حَزُّ السلاح لأسلموك ـ: «أُغْضُضْ ببظر اللّات، أنحن نُسْلمه». يراجع، ابن قتيبة: عيون الأخبار، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م، مج١، ج١ ص م.

(١) هو التحذير من استعمال بعض الكلمات لما لها من إيحاءات مكروهة، أو لدلالتها الصريحة على ما يستقبح ذكره... فكأن اللامساس يؤدي إلى التحايل في التعبير أو ما يسمى بالتلطف، وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحارة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولاً، وهذا التلطف هو السبب في تغيير المعنى. ينظر، د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) أوتويسبرن: اللغة والمرأة، نقلاً عن حسام الخطيب: اللغة العربية، ص٢٢٢.

(٣) أوتويسبرن: اللغة والمرأة، نقلاً عن حسام الخطيب: اللغة العربية، ص٢٣٢، وعلة الأمور أن اللغة عندها بخاصة وعن الإنسان بعامة وسيلة من وسائل التلذذ والإنتشاء والسرور. فنحن كثيراً ما نردد أصواتاً وكلمات غير قاصدين إلا المتعة بأصواتنا، والإنتشاء بلغتنا. وقد، عبرت مدام دي ستايل (Mme de staële) عن هذه الحقيقة تعبيراً واضحاً، قالت: «إنها ـ أي اللغة الفرنسية ـ ليست كما هي عندنا مجرد وسيلة لتوصيل أفكارها وإحساساتها وشؤونها، ولكنها آلة يحب الإنسان أن يلعبها، وهي تحرك النفوس كالموسيقى عند أقوام...». نقلاً عن، د. محمود السعران: اللغة والمجتمع ـ رأي ومنهج ـ، المطبعة الأهلية، بنغازي، ١٩٥٨م، ص٩.

(٤) أنيس فريحة: نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٥٥م، ص٣٦.

والآخرون بكثرة الأعصاب التي تشمل نصفي دماغها[١]. من أمثلة هذه الطلاقة والغزارة اللغوية ما روي عن حسان بن ثابت أنه عنّ له الشعر ذات ليلة وعنده ابنته ليلى في خِدرها، فقال بيتاً: [من الطويل]

مَتَاريكُ أذنابِ الأمُورِ إذا اعْتَرَتْ أخَذْنَا الفُرُوعَ واجتَنينا أُصُولَها[٢]

ثم أُجْبَل[٣] فلم يجد شيئاً، فقالت له ابنته: يا أبتاه، كأنك أجبلت، قال: أجل، قالت: فهل لك أن أجيز عنك؟ فقال: نعم، قالت: أعد فأعاد قوله، فقالت: [من الطويل]

مَقَاويلُ بالمعروف خُرْسٌ عَنِ الخَنَا كِرامٌ يُعاطُونَ العشيرةَ سُؤْلَها

فقال حسان: لا أقول شعراً وأنت حية[٤]. ومواقف عجز الرجل عن الكلام وغزارة لغة المرأة متكررة وملحوظة في التراث العربي[٥]. منها قصة المعتمد بن عباد وجاريته اعتماد المشهورة بالرُّمَيْكية[٦]. روي أن المعتمد ركب في النهر ومعه ابن عمّار وزيره، وقد زردت الريحُ النهر، فقال ابن عباد لابن عمار: [من الرمل]

* صَنَعَ الرِّيحُ مِنَ المَاءِ زَرَدْ *

فأطال ابن عمّار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات: [من الرمل]

* أيُّ دِرْعٍ لِقِتَالٍ لَوْ جَمَدْ *

فتعجّب ابن عبّاد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمّار، ونظر إليها فإذا هي حسنة، فأعجبته[٧]...

---

(١) Alain Bran Connier: le sexe des émotions (edition odile jacob, Paris, 1996), P: 167.

(٢) حسان بن ثابت: الديوان، دار صادر، بيروت، لا.تا، ص١٩٦، وقد ورد البيت فيه بشيء من التحريف.

(٣) أجبل: أفحم، أخفق. الزمخشري: أساس البلاغة، ص٨١، مادة [جبل].

(٤) ينظر، المرزباني: الموشح، ص٧٦.

(٥) يراجع، المقري: نفح الطيب، حققه د. إحسان عباس، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ج٤ ص٢١١.

(٦) اعتماد الرميكية كانت جارية لرميك بن حجاج؛ فنسبت إليه. وآلت إلى المعتمد بن عباد فتزوجها. شاعرة أندلسية، لها من الأولاد عباد الملقب بالمأمون ويزيد الملقب بالراضي. أسرها يوسف بن تاشفين مع المعتمد وأرسلهما إلى أغمات من مراكش. ماتت في السجن سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. ينظر، الزركلي: الأعلام مج١ص ٣٣٤.

(٧) المقري: نفح الطيب، ج٤ ص٢١١، وعلي بن ظافر الأزدي: بدائع البدائه، تحقيق=

٥ ـ عدم استعمال التورية والكناية

النساء لا يستعملن ـ أو يقللن من استعمال ـ التورية والكناية[١] في كلامهن. وعلة سلوكهن اللغوي يعود إلى حاجة هذه الأساليب إلى طول تفكير وتؤدة في أثناء عملية الكلام. وهذا غير معهود في الأنثى[٢]. فالاستعارة المفيدة كما نصّ عليه العلماء: «. . إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها. .»[٣]. وكذلك التورية التي يراد بها المعنى البعيد بعد إطلاق لفظ له معنيان[٤]. . . وهي تقنيات تعبيرية تجد الأنثى صعوبة في استحضارها. من أمثلته الاستعارة في قول أحد الذكور حين أطلق «الحافر» على رِجْل الإنسان، كما في قول أوس بن حجر: [من الطويل]

= محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص٧١، وقد وردت القصة في المصدر الأخير بشيء من التحريف، وبخاصة عند نسبة أشخاص الحادثة.

(١) وفي كتاب النساء أدلة تشهد على عدم معرفة النساء بالكناية. نقل ابن قتيبة عن خالد بن صفوان، قال: قالت امرأة خالد بن صفوان له يوماً: ما أجملك! قال: ما تقولين ذاك ومالي عمودُ الجمال، ولا عليّ رداؤه وبُرْنُسه، قالت: ما عمود الجمال وما رداؤه وما بُرْنسه؟ قال: أما عمود الجمال فَطُولُ القوام وفِيّ قِصَرٌ، وأما رداؤهُ فالبياض ولستُ بأبيض، وأما بُرْنسه فسواد الشعر وأنا أصلع، ولكن لو قلت: ما أحلاكَ وما أملحك، كان أولى. يراجع، ابن قتيبة: عيون الأخبار، مج٢، ج٤ ص٢٣.

(٢) ذكر أن التركيب النسوي أقرب إلى النسق والتركيب الرُّجْلي أقرب إلى التداخل، أو لعلنا نشبه جملة الرُّجل بمجموعة من الصناديق الصينية أحدها داخل الآخر في حين أن الجملة النسائية مجموعة من اللآلىء سلكت بخيط من أحرف العطف. وفي مسرحية دانيمركية نشهد فتاة تسرد ما حدث لها في حفلة رقص وفجأة يقاطعها أخوها وقد أخرج ساعته بهدوء قائلاً: إنني أصرح أنك قلت «وبعد ذلك» خمس عشرة مرة في أقل من دقيقتين ونصف. يراجع، أوتويسبرن: اللغة والمرأة، نقلاً عن حسام الخطيب: اللغة العربية، ص٢٣٠.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، صححه. . . السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٣٣.

(٤) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ج٣ ص٤٩٩.

وَمَا رَقَدَ الوِلْدانِ حَتّى رَأَيْتُهُ   على البِكْرِ يَمرِيهِ بِسَاقٍ وحَافِرِ[(١)]

علق علماء البلاغة واللغة على النموذج السابق من الاستعارة، قالوا: وكل ما جرى هذا المجرى من الاستعارة فهو رديء لا عذر فيه[(٢)].

ولم يكن الخلاف بين لغة الذكر والأنثى وقفاً على الملفوظ والمخطوط، وهما الشكلان الأشيع للغة، بل تعداهما إلى لغة الجسد عامة، والتعبير الإشاري خاصة. فالذكور يظهرون أكثر حرارة من الإناث، وبعض الإشارات التي تعتبر ذكورية تستخدم من قبل الإناث، إلّا أن إشارتهن اجتماعية وودية، مثل الإبتسام. ولكن الفارق الوحيد بينهما هو مدى تكرار أستخدام هذه الإشارات عند الجنسين[(٣)]. ومن جهة أخرى تتمتع النساء بقدرة فطرية على إلتقاط الإشارات غير الشفهية وفك رموزها، بالإضافة إلى تمتعهن بعين دقيقة تلتقط التفاصيل الصغيرة. وهذا ما يفسّر قلة الرجال الذين يستطيعون الكذب على زوجاتهم، من دون أن يتعرضوا لعواقب وخيمة. وهو يشبه إلى حدّ بعيد غزارة اللغة عندها، أو ينسجم معه.

وتدل الإحصاءات[(٤)] أن النساء هنّ اللواتي يكتفن غالباً أذرعتهنّ؛ لأن لهن أسباباً للإحساس بالتهديد والخوف. ويكفي أن ينظر المرء حواليه لكي يقرّ ـ بلا صعوبة ـ بأن هذه الحركة هي نسوية أكثر منها ذكرية. فضلاً على ذلك، ولأسباب بيولوجية ـ تتعلق بالتكوين الجسماني ـ تكتّف النساء أذرعتهن فوق مكان أدنى في الجسم بالمقارنة مع الرجال. .

هذه مفاصل رئيسية بارزة إلى حدّ ما، تتميز فيها لغة الأنثى من لغة الذكر. وهي اختلافات فرزتها الأصول الجنسية ـ البيولوجية، وعزّزتها الحياة الاجتماعية التي افترضت على الذكر الانفتاح والاختلاط وممارسة الأعمال كافة، ووضعت حدوداً للأنثى تمارس فيها أعمالاً خاصة. . ولكن تطور الحياة الاجتماعية سيكسر

---

(١) نسبه المرزباني لأوس بن حجر ولم أقع عليه في ديوانه، طبعة دار صادر، بيروت. ينظر، المرزباني: الموشح، ص٨٨.

(٢) المرزباني: الموشح، ص٨٨، وأبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص١٦٣.

(٣) Sean Neil and Chris Caswell: Body Language for competent Teachers, London and New York, First Published, 1993, P: 16.

(٤) ناتالي پاكو (Nathalie Pacout): لغة الحركات، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، ص٤٢.

من جليد الاختلافات، وسيكون سبباً في تعديل العلاقة بين لغة الذكر والأنثى.

مصطلحات اللغة أوعية الجنس

واستكمالاً لإشكالية اللغة والجنس، وارتباطهما بعضهما ببعض، بات من الواجب استعراض مصطلحات اللغة العربية، ومقابلتها بالمعاني الجنسية، لما في ذلك من كشف قناع الحقيقة بصورة أكثر جلاء؛ نظراً لما يجسده المصطلح بالعلم القائم له.

المفرد: ما لا يُقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه[١].

المفرد لغة نصف الزوج (ج) فِرادٌ[٢].

المركب: ما يقصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه[٣].

المركب لغة: قالوا: ركبّه تركيباً وضع بعضه على بعض[٤]. وينقسم المركب ثلاثة أقسام: مركب إضافي ومزجي وإسنادي، وهو على الراجح صورة لأوضاع جنسية.

التثنية: جعل الاسم القابل للتثنية، اثنين متفقين لفظاً ومعنى زيادة في آخره، يليها نون مكسورة[٥].

لغة: ثنى الشيء ردّ بعضه على بعض فتثنى، وانْثَنَى واثْنَونى انعطف[٦].

الجمع: الاسم الموضوع للآحاد المجتمعة، دالاً عليها تكرار الواحد بالعطف[٧].

لغة: يقال ما جَمَعْتُ بامرأة قط، وعن امرأةٍ ما بنيت. والمجامعة: المباضعة[٨].

---

(١) الفاكهي: حدود النحو، ص١٠.

(٢) الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب. ليبيا ـ تونس، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م، ص٤٧٢، مادة [مزد].

(٣) الفاكهي: حدود النحو، ص١١.

(٤) الزاوي: مختار القاموس، ص٢٥٩، مادة [ركبَ].

(٥) الفاكهي: حدود النحو، ص١١.

(٦) الزاوي: مختار القاموس، ص ٨٨، مادة [ثني].

(٧) الفاكهي: حدود النحو، ص١٢.

(٨) الزاوي: مختار القاموس، ص١١٤، مادة [جمع].

الموصول: ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية معهودة[١].

لغة: وَصَلَه وَصْلاً وصِلَةً وواصَلَهُ مُواصلة ووصالاً: كلاهما يكون في عفاف الحُبّ ودعارته[٢].

الإعراب: أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة حقيقةً أو مجازاً[٣].

لغة: العَرُوب من النساء بوزن العروس المُتَحَبِّبة إلى زوجها، والجمع عُرب[٤]. وتتجلى حقيقة معنى «إعراب» وارتباطها بالأصول الجنسية في ما تختزنه اشتقاقاتها من دلالات، العِرَابَة والإعْرابة والإعراب واستعراب. . . وأعرب الرَّجُل إذا تكلم بالفحش، والاسم العِرَابة. قال ابن الأثير: العِرابة التصريح بالكلام في الجماع. ومنه حديث ابن الزبير: لا تَحِلُّ العِرَابة للمُحْرِم، وحديث بعضهم: ما أوتي أحد من مُعَاربة النساء ما أوتيته، أراد أسباب الجماع ومقدماته»[٥]

المتعدي: ماله مفعول به بغيرها[٦].

التعدي لغةً مجاوزة الشيء إلى غيره، وعَدِّ عما ترى أي اصرف بصرك عنه[٧].

التعجب: انفعال يحدث في النفس، عند الشعور بأمر يجهل سببه[٨].

لغة: العُجْب أصل الذنب، والعجباء التي يُتَعَجَّب من حسنها ومن قبحها[٩].

---

(١) الفاكهي: حدود النحو، ص١٤.

(٢) الزاوي: مختار القاموس، ص٦٦٠، مادة [وصل].

(٣) الفاكهي: حدود النحو، ص١٥

(٤) الرازي: مختار الصحاح، ص٤٢٢، مادة [عرب]. قال ابن دريد: العَرُوب من النساء المحبة لزوجها المظهره له ذلك. وكذلك فسره أبو عبيدة في التنزيل في قوله جلّ ثناؤه: «عُرُباً أتراباً». ابن دريد: جمهرة اللغة، دار صادر، بيرو، لا.تا، ج١ ص٢٦٧، مادة [برع].

(٥) يراجع، السيوطي: شقائق الأترنج في رقائق الغنج، ص٢٣، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣ ص٢٠١.

(٦) الفاكهي: شدود النحو، ص١٦.

(٧) الرازي: مختار الصحاح ص٤١٩، مادة [عدا].

(٨) الفاكهي: حدود النحو، ص١٧.

(٩) الرازي: مختار الصحاح، ص٤١٣، مادة [عجب]، والزاوي: مختار القاموس، ص ٤٠٧، مادة [عجب].

الفعل: ما دلّ على معنى في نفسه، مقترن بأحد الأزمة الثلاثة[١].

الفعل لغة: يدل على إحداث شيء من عمل وغيره. وكانت من فلان فَعْلةٌ حَسَنة أو قبيحة[٢].

والفعل: حياء الناقة وفَرْج كل أنثى[٣].

التنازع: أن يتقدم عاملان مذكوران فأكثر على معمول فأكثر[٤].

وفي المجاز: نساء نزائع: تزوّجن في غير عشائرهن. ويقال للمرء إذا أشبه أخواله أو أعمامه: نَزَعهم ونزعوه ونزع إليهم، ونزعه عِرقُ الخال[٥].

التمييز: اسم نكرة فضلة، يرفع إبهام اسم، أو إجمال نسبة[٦].

وفي اللغة، يقال: رجلٌ مُمَيِّزٌ وميّازٌ[٧]. ورجل مَيِز ومَيِّزٌ شديد العضل[٨].

الجر: الكسرة التي يحدثها العامل في آخر الاسم، سواء أكان العامل حرفاً أو مضافاً[٩].

لغة: الجر مدُّ الشيء وسَحْبُه. يقال: جررت الحبل وغيرَه أجره جراً[١٠].

الإضافة: إسناد اسم إلى غيره بتنزيله من الأول منزلة التنوين أو ما يقوم مقامه[١١].

لغة: يقال ضافت تضيف حاضَتْ وهي ضيفه حائض. والمضاف الملزق بالقوم والدعي المُسْنَدُ إلى مَنْ ليس منهم[١٢].

---

(١) ابن هشام: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١٠، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، ص١٤.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٤ ص٥١١، مادة [فعل].

(٣) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٤ ص٣٢، مادة [فعل].

(٤) الفاكهي: حدود النحو، ص١٧.

(٥) الزمخشري: أساس البلاغة، ص٦٢٧، مادة [نزع].

(٦) الفاكهي: حدود النحو، ص٨١٩

(٧) الزمخشري: أساس البلاغة، ص ٦١٠، مادة [ميز].

(٨) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٢ ص١٩٣، مادة [مازه].

(٩) الفاكهي: حدود النحو، ص٢١.

(١٠) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج١ ص٤١٠، مادة]جر].

(١١) الفاكهي: حدود النحو، ص٢١.

(١٢) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مج٣ ص١٦٦، مادة [ضيف].

المنسوب: الملحق آخره ياء مشدودة، ليدل على نسبته إلى مجرد عنها[(١)].

لغة: اتصال شيء بشيء، ومنه النّسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتّصِل بها؛ ولا يكون إلا في النساء[(٢)].

الإمالة: أن تنحو لفتحته نحو الكسر[(٣)].

لغة: العدول عن الوسط، ومنه المال سُمّي بذلك لكونه مائلاً أبداً وزائلاً، ولذلك سُمّي عرضاً، وعلى هذا دلّ قول من قال: المالُ قَحْبَةٌ تكون يوماً في بيت عطّار ويوماً في بيت بيطار[(٤)].

الشذوذ: هو الخروج عن القياس وعدم الاتساق مع المألوف من القواعد العامة[(٥)]، أو هو مخالفة القياسي من غير نظر إلى قلة وجودته وكثرته[(٦)].

والشاذ في اللغة خلاف السويّ من الناس (ج) شواذ[(٧)].

العارض والعارضة أيضاً وصفان مشتقان من العروض وهو الطروء وعدم الأصالة في الحركة أو الحرف[(٨)].

وهو الفرد الذي يجد لذة جنسية من عرض جزء شبقى من جسمه وعلى الأخص أعضائه التناسلية[(٩)].

وأبرز مصطلح يدل على علاقة ارتباط الجنس باللغة هو استعمال لفظة «الجنس» نفسه، كما في اسم الجنس ولا النافية للجنس، والجنسية وصف لِلَا النافية للجنس وأل الجنسية[(١٠)]. . .

---

(١) الفاكهي: حدود النحو، ص٢٢.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مج٥ ص٤٢٣، ٤٢٤، مادة [نسب].

(٣) الفاكهي: حدود النحو، ص٢٢.

(٤) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٤٧٨، مادة [ميل].

(٥) محمد سمير عجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت وعمان، ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ص١١٣.

(٦) الشريف الجرجاني: التعريفات، ص١٢٩.

(٧) المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، وآخرون، إشراف عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران، لا. تا، ج١ ص٤٧٩.

(٨) د. محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص١٥٠.

(٩) فرويد: الجنس وأثره في السلوك الإنساني، ص٢٠٣.

(١٠) يراجع، محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص٥٦.

ولعل مصطلح «الفعل» ـ السابق الذكر ـ من أقوى المصطلحات التي تدل على ارتباط النحو بالجنس؛ لما في دلالته على النكاح وما يترتب عليه من تكاثر النوع البشري، كما يدل في النحو على الأحداث والحركات. ففي الدلالة الأولى الحياة، وفي الثانية مظهر الحياة؛ لأن الأفعال أحداث الأسماء وحركاتها، ولما يزل المصطلح مستعملاً في الدلالة الجنسية التي تتضمنها الشتائم وما ينزل منزلتها. يقولون: يا ابن الفاعلة[١]. ولما كانت الأفعال لا تحصى ولا تعد؛ لارتباطها بالحياة، نزلت نظيرتها منزلتها[٢]. من أجل الأمثلة وأوضحها في الترابط بين الإعراب والحب، وتبادل مصطلحات، ما جاء في مجلس أنس بين ذكر وأنثى، قال بعضهم: «إنما يطيب... شِدَّة الزَّهْز وكثرة الرفع والخفض والنصب، والبسط والقبض، والتقديم والتأخير...»[٣].

هكذا تتقاطع اللغة مع الجنس بشكل خاص ومع المعرفة عموماً. ولا مِزية في الأمر؛ لأن لهما في التمثيل الأصل نفسه ومبدأ العمل ذاته، وتعزز إحداهما الأخرى وتتكاملان[٤].

(١) ينظر، ابن الجوزي: كتاب الأذكياء، ص ١٥٨ و٢٣٤.

(٢) يشاع في عدم الحدّ من العمليات الجنسية قولهم: ثلاث لا تشبع من ثلاث: أرض من مطر وأذن من خبر وأنثى من ذكر.

(٣) يراجع، السيوطي: شقائق الأترنج في رقائق الغنج، ص ٤٦.

(٤) ينظر، تفصيل ذلك، Michel foucault: les mots et les choses, N R F, Éditions Gallimard, 1966, P:101.

الخاتمة

بعد خوض لجج موج الدرس والمتابعة والبحث، أجد نفسي بين مهابتين الأولى أمواج عاتية تستمد عتوها من صعوبة النحو ومزالقه الخطيرة وأزقته الضيقة، وهي طرق يضطر الدارس إلى وُلُوجها بغية استنطاقها، واستلهام الحقيقة من ثناياها. والثانية أمواج هادئة ساكنة ندية تتساقط كتساقط نقاط الماء على الأرض العطشى، فإذا وصلت إليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. تستورد نداها من قطرات الحبّ؛ فأجد النصب قد ذهب والتعب تلاشى وغاب.

بعد جوب القفار، واختراق آفاق فيافي الكتب والمصادر، تحط الرحال لتفرغ جعبة الدرس حمولتها ولتضع بعد العناء أوزارها، في مفترقين متقاطعين في نقطتين، إحداهما النتائج والثانية الاقتراحات والتوصيات.

في النقطة الأولى انتهت الدراسة إلى تسجيل التالي:

أ ـ أوضحت أن للحب قوانين يعرف بها، شأنه في ذلك شأن الظواهر الأخرى التي لها قوانين يستدل بها عليها ويتوصل من خلالها إليها.

ب ـ ربطت الحبّ بالإعراب ربطاً وثيقاً، لا تتفتت آصرته إلا بذوبان الإنسان... لأن نبضات القلب حركة إعرابية تتغير بتغير الحال، كما تختلف حركة إعراب لفظة بتغير موقعها...

ج ـ أكّدت أن نموّ اللغة يخضع لنواميس الطبيعة، مثله كمثل تكاثر الناس بالتزاوج... وباختصار تتزاوج الألفاظ وتتوالد كما يتزاوج بنو البشر.. فيلدون وينتجون. وكلما كان الزوجان بعيدين في القرابة والنسب، يأتي المولود غير ضاوٍ ولا هزيل ثاوٍ.

د ـ أبرزت غلبة المذكر المؤنث في قواعد النحو وأحكام اللغة. وهو يستأثر في غير قاعدة، وبخاصة إذا اجتمع بالأنثى في ميدان حكم واحد. ولا يقف عند حدّ اجتماعه بها، بل يتجاوزه إلى قاعدة جمع المؤنث السالم، فيسلب جزءاً كبيراً

منها وتبقى قاعدة جمع المذكر السالم حكراً على عقلاء المذكرين المتحررين من أي شبه بالأنثى كالتركيب ولحاق تاء التأنيث المربوطة آخره. . .

هـ ـ فسرت علّة جمع الأسماء العجمية في اللهجة الشعبية جمع مؤنث سالماً، بعد التحليل الدقيق للقواعد النحوية، وربطها بالأصول الاجتماعية. . . نفاذاً إلى برّ الحقيقة وميناء اليقين الذي يستند إلى الدليل والبرهان المبين.

وفي النقطة الثانية تظهر في ثنايا الدراسة حبوب أنضجتها المدارسة والمعاودة والإشارة إليها. فهي من ناحية تطلب من يستنبتها، ومن جهة أخرى تنبّه إليها، وهي:

١ ـ عدم تفسير سلوك الإنسان عامة، والمحب خاصة بكيفيات منعزلة عن الأحوال المحيطة به والظروف التي أنتجته. من أمثلتها عدم اعتقاد تقبيل الجدار ولثم الديار إفراط في وطنية ومغالاة في قومية. وهي في حقيقتها أمارة عشق صاحبة الدار، أو ما يمت بصلة إليها من أهْلٍ وجِوَار.

٢ ـ ربط الحبّ بغيره من العلوم، وبحث أصوله في ضوء أصول ذلك العِلْم؛ للخروج بالثوابت المشتركة. من العلوم التي تمت بصلة إلى الحب «علم النفس» و«علم الاجتماع»، و«الفقه». . . وغيرها من العلوم الإنسانية التي تنعكس على صفحته. . . فيجب بحثها وإبراز معالمها.

٣ ـ الاعتماد في تسجيل حكم، أو إبداء رأي على بواطن الأمور متحدة مع ظواهرها؛ لأن الركون إلى أحدهما نقص في المعطيات يؤدي إلى خطإ في النتائج. فكم من إنسان اصفرّ لونه ولم يُعانِ من مرض جسمي يستدعي نقله إلى الطبيب. . . وما به في الحقيقة إلا داء الحب. وقد يشاطره في أعراض الاصفرار دوافع أخرى منها الخوف والبَهَت والوجل. فلو فسرت بمرضٍ جسمي خاب سعي المفسر، وذهبت آراؤه أدراج الرياح. . . .

٤ ـ اللغة والإنسان متلازمان منذ أمد بعيد. فكما يعرف الإنسان من أصحابه وقرنائه ودراسة سلوكه، يمكن معرفته من خلال الألفاظ التي يستعملها، والأساليب التي يمتطيها، والصور التي يرسمها بريشة كلماته.

٥ ـ سمّو النحو وأحكامه في المجتمع العربي، ونزوله في النفس منزلة سنيّة، وهذا ما يفسر ارتباطه بأدق المواقف الاجتماعية وأكثرها سرية، وهو الحب، ولواعج القلب.

٦ ـ تسويغ دراسة النحو العربي، وتحبيبه إلى النفوس عند ربط مسائله بالحب، وتقديمها متجسدة مع نبضات القلب... فيتجرعها التلميذ مع كأس الحبّ، فيقبلها بنفس رضية، تحصل المنفعة منها، وتفهم الغاية الوظيفية لها، بعيداً عن التلقين الممل، واستظهار القاعدة بشكل مخل.

إلى جانب غيرها من الزوايا الكامنة في ثنايا التراث، والدفينة في آبار الفكر، عملت الدراسة على إثارتها من خلال لفت أقلام الباحثين إليها، وفتح نوافذ الدارسين لوُلُوجها... تطلب من يخوض غمارها، ويستنبش كنوزها، فتغتني المعرفة وترتقي الثقافة، وما غناها إلا بزيادة المؤلفات وازدهار الدراسات... فإن توقفنا نضب ماء الفكر، وارتقى العِلْم إلى أسفل.

حسبي أني خضت محاولة فيها المغامرة والتضحية، أقبلت إليها بنفس رضية وروح سخية، فإن أصبت الهدف فهو رجائي، وإن أخفقت فإن المسدِّدَ (الرامي) مصيب ومخطىء. وقبل أن يتوقف اليراع أبدي عذري عن هفوة ألمت بي، أو زلة لحقتني؛ لأنني إنسان، وقلما يسلم إنسان من نسيان، وقلم من طغيان.

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الآمدي، الحسن بن بشر: الموازنة، حقق أصوله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الباز للطباعة والنشر، لا. ب، لا. تا.

٣ ـ الأبشيهي، محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة ومفهرسة، لا. تا.

٤ ـ ابن الأثير، مجد الدين: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طه أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لا. تا.

٥ ـ أبن أحمد، الخليل: كتاب الجمل في النحو، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦ ـ أبن أحمد، الخليل: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧ ـ الأخطل، غياث بن غوث: شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت وسورية، ط ٤، ١٩٩٦م.

٨ ـ الأزدي، علي بن ظافر: بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٩ ـ الأزهري، الشيخ خالد: شرح التصريح على التوضيح، دار الفكر، لا. ب، لا. تا.

١٠ ـ الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١١ ـ الأشموني، علي بن محمد: شرح الأشموني على الألفية، حققه محمد محيي

الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

١٢ ـ الأشناندانى، سعيد بن هارون: كتاب معاني الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣ ـ الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. تا.

١٤ ـ الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لا. تا.

١٥ ـ الأعشى، ميمون بن قيس: الديوان، شرح محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

١٦ ـ الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان: شرح حماسة أبي تمام، تحقيق وتعليق د. علي المفضل حمودان، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٢م.

١٧ ـ ابن الأنباري، أبو بكرمحمد بن القاسم: المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٨ ـ ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، لا. ب، لا. تا.

١٩ ـ الأنطاكي، داود: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤م.

٢٠ ـ أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٦، ١٩٨٤م.

حرف الباء

٢١ ـ باكو ناتالي (Nathlie Pacout): لغة الحركات، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٢ ـ باي، ماريو (Mario pci): أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس (ليبيا)، كلية التربية، ١٩٧٣م.

٢٣ ـ بروكلمان، كارل (Carl Brockelmann): تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٠، ١٩٨٤م.

٢٤ ـ البستي، أبو الفتح علي بن محمد: الديوان ـ ضمن أبو الفتح البستي حياته

وشعره ـ حققه وجمع زياداته د. محمد مرسي الخولي، دار الأندلس، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.

٢٥ ـ البغدادي، الشيخ عبد القادر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، لا.تا.

٢٦ ـ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، نسخه وصححه ونقّحه وحقق ما فيه... عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لا.تا.

٢٧ ـ بيز، آلن (Allan pease): لغة الجسد، تعريب سمير شيخاني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٨ ـ البيضاوي، عبد الله بن عمر: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

حرف التاء

٢٩ ـ الترمانيني، د. عبد السلام: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٨٠، ذو القعدة ١٤٠٤هـ ـ أغسطس ١٩٨٤م.

٣٠ ـ التلمساني، ابن أبي حجلة أحمد بن يحيى: ديوان الصبابة، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، لا.تا.

٣١ ـ التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، حققه د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

حرف الثاء

٣٢ ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: خاص الخاص، قدم له حسن الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة جديدة، لا.تا.

٣٣ ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا.تا.

حرف الجيم

٣٤ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط ٤، لا.تا.

٣٥ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٤، ١٩٦٥م.

٣٦ ـ جاسترو، جوزيف: مقدمة كتاب فرويد «الجنس وأثره في السلوك الإنساني»، ترجمة فؤاد ناصر، منشورات دار حمد، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.

٣٧ ـ جبران، جبران خليل: البدائع والطرائف، لا.نا، بيروت، لا.تا.

٣٨ ـ الجرجاني، أبو العباس أحمد بن محمد: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٩ ـ الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، صححها... السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٤٠ ـ الجرجاني، عبد القاهر: كتاب الجمل في النحو، شرح ودراسة وتحقيق يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٤١ ـ الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الأعجاز، تحقيق د. رضوان الداية ود. فايز الداية، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٢ ـ الجرجاني، محمد الشريف: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٥م.

٤٣ ـ جرير بن عطية: الديوان، دار صادر، بيروت، لا.تا.

٤٤ ـ اْبن جعفر، قدامة: جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، لا.ب، لا.نا.

٤٥ ـ اْبن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.تا.

٤٦ ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، لا.تا.

٤٧ ـ ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٤٨ ـ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد: المعرّب، حققه د.ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٩ ـ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن: كتاب الأذكياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥٠ ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٥١ ـ الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

حرف الحاء

٥٢ ـ الحامض، أبو موسى: كتاب ما يذكر وما يؤنث من الإنسان واللباس، نشر ضمن رسائل في اللغة، حققها وعلق عليها إبراهيم السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٤م.

٥٣ ـ ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر: ثمرات الأوراق وذيله، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٤ ـ ابن حزم، علي بن محمد: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق د، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٥٥ ـ حسان بن ثابت: الديوان، دار صادر، بيروت، لا. تا.

٥٦ ـ الحصري، إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروع بقلم المرحوم د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط ٤، لا. تا.

٥٧ ـ الحصري، إبراهيم بن علي: نُور الطرف ونَوْر الظرف، تحقيق ودراسة لينة. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٨ ـ الحصري، إبراهيم بن علي: المصون في سر الهوى المكنون، دراسة وشرح وتحقيق د. النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٨٩م.

٥٩ ـ الحفني، د. عبد المنعم: الموسوعة النفسية الجنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٦٠ ـ الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، نشر المستشرق مرجليوث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦١ ـ أبو حيان الأندلسي، أثير الدين يوسف: النكت الحسان في شرح غاية الإحسان، تحقيق ودراسة د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

حرف الخاء

٦٢ ـ خان، محمد صديق حسن: العَلَم الخفاق من علم الإشتقاق، ضبطه وعلق عليه أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٦٣ ـ خرما، د. نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٩، رمضان/ شوال ١٣٩٨هـ ـ سبتمر (أيلول) ١٩٧٨م.

٦٤ ـ الخطيب، د. حسام: اللغة العربية، إضاءات عصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

٦٥ ـ الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد: كتاب شفاء الغليل فيما في الكلام من دخيل، قدّم له وصححه ووثق نصوصه وشرح غريبه د. محمد كشّاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٦ ـ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، وضع فهارسه وقدّم له الأستاذ يوسف أسعد داغر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٦٧ ـ ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لا. تا.

٦٨ ـ الخولي، د. سناء: مدخل إلى علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٨م.

حرف الدال

٦٩ ـ ابن الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري: كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، تحقيق هـ. ريتر، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

٧٠ ـ ابن درستويه، عبد الله بن جعفر: كتاب الكتّاب، تحقيق د. إبراهيم

السامرائي وعبد الحسين الفتلي، دار الكتب الثقافية، الكويت - حولي، ط ١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٧١ - ابن دريد، محمد بن الحسن: الجمهرة، دار صادر، بيروت، لا. تا.

٧٢ - ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد: البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق ودراسة د. عياد عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

حرف الذال

٧٣ - ابن ذريل، عدنان: اللغة والدلالة، آراء ونظريات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١م.

حرف الراء

٧٤ - ابن أبي ربيعة، عمر: الديوان، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧٥ - رضا، د. ناهد: «قضية اللفظ والمعنى في تحديث المناهج النقدية»، مجلة الفيصل، السعودية، العدد ١٨٦، ذو الحجة ١٤١٢هـ - يونيو ١٩٩٢م.

حرف الزاي

٧٦ - زاده، طاش كبري (أحمد بن مصطفى): مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا.

٧٧ - الزاوي، الطاهر أحمد: مختار القاموس، الدار القومية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٩هـ - ١٩٨٠م.

٧٨ - الزبيدي، محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٨٤م.

٧٩ - الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق: الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط ٤، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨٠ - الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق: كتاب الجمل في النحو، حققه وقدم له د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت وإربد - الإردن، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٨١ - الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٧، ١٩٨٦م.

٨٢ ـ الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨٣ ـ الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في علم العربية، شرح أبياته محمد بدر الدين النعساني، دار الجيل، بيروت، لا. تا.

٨٤ ـ زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م.

٨٥ ـ زيدان، جرجي: تاريخ اللغة العربية، تقديم عصام نور الدين، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.

٨٦ ـ زيعور، د. علي: اللاوعي الثقافي ولغة التواصل غير اللفظي في الذات العربية، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

حرف السين

٨٧ ـ السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد: المذكر والمؤنث، عني بتحقيقه د. عزة حسن، دار الشرق العربي، حلب ـ سورية، لا. تا.

٨٨ ـ ابن السراج، محمد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.

٨٩ ـ السعران، د. محمود: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، المطبعة الأهلية، بنغازي (ليبيا)، ١٩٥٨م.

٩٠ ـ ابن أبي سلمى، زهير: الديوان، شرح الإمام ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٩١ ـ السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله: أمالي السهيلي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠.

٩٢ ـ السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله: نتائج الفكر في النحو، حققه وعلق عليه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٩٣ ـ سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩٤ ـ السيرافي، الحسن بن عبد الله: أخبار النحويين البصريين، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الإعتصام، القاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٥ ـ السيوطي، عبد الرحمن: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، لا. تا.

٩٦ ـ السيوطي، عبد الرحمن: الإقتراح في علم أصول النحو، دار المعارف، حلب ـ سوريا، جمادى الآخرة، ١٣٥٩هـ.

٩٧ ـ السيوطي، عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لا. ب، ط ٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٩٨ ـ السيوطي، عبد الرحمن: شقائق الأترنج في رقائق الغنج، تحقيق عادل العامل، دار المعرفة، دمشق، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٩٩ ـ السيوطي، عبد الرحمن: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه. . . محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لا. تا.

١٠٠ ـ السيوطي، عبد الرحمن: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

حرف الشين

١٠١ ـ شاهين، عبد الصبور: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠٢ ـ شوقي، أحمد: الشوقيات، مكتبة التربية، بيروت، ١٩٨٧م.

حرف الصاد

١٠٣ ـ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق حياة العيد بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.

١٠٤ ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: نكت الهميان في نكت العميان، وقف على طبعه الأستاذ أحمد زكي باشا، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م.

حرف الطاء

١٠٥ ـ ابن طباطبا، محمد بن أحمد: كتاب عيار الشعر، تحقيق د. محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس ـ لبنان، ١٩٨٨م.

حرف العين

١٠٦ ـ العباسي، الشيخ عبد الرحيم: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧.

١٠٧ ـ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه... أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٠٨ ـ العجاج بن رؤبة: الديوان، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م.

١٠٩ ـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٠ ـ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ١٤، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

١١١ ـ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين: مسائل خلافية في النحو، حققه وقدّم له د. محمد خير الحلواني، منشورات دار المأمون للتراث، دمشق، لا. تا.

١١٢ ـ العلوي، المظفر بن الفضل: نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق د. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٣ ـ العيني، محمود بن أحمد: المقاصد النحوية، حاشية خزانة الأدب للبغدادي، دار صادر، بيروت، ط١، لا. تا.

حرف الغين

١١٤ ـ الغذامي، د. عبد الله: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٦م.

١١٥ ـ الغلاييني، الشيخ مصطفى: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط ١٤، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

حرف الفاء

١١٦ ـ ابن فارس، أحمد: مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٧ ـ ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، إيران (قم)، لا. تا.

١١٨ ـ الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد: المسائل العضديات، تحقيق د. علي جابر المنصوري، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٩ ـ الفاكهي، الإمام عبد الله بن أحمد: حدود النحو، ضمن الحدود في ثلاث رسائل، تقديم وتحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م.

١٢٠ ـ الفرزدق، همام بن غالب: الديوان، دار صادر، بيروت، لا. تا.

١٢١ ـ فرويد، سيجموند (Sigmund Freud): والجنس وأثره في السلوك الإنساني، ترجمة فؤاد ناصر، منشورات دار حمد، بيروت، ط ١، ١٩٦٤م.

١٢٢ ـ فريحة، أنيس: في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م.

١٢٣ ـ فريحة، أنيس: نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٥٥م.

١٢٤ ـ الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٢٥ ـ الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٢٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

حرف القاف

١٢٦ ـ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي، قدم له محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا.

١٢٧ ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، حققه وضبط غريبه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ٤، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

١٢٨ ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث العربي، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٧م.

١٢٩ ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م.

١٣٠ ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣١ ـ القرطبي، محمدأحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٣٢ ـ القزويني، محمد القاضي سعد الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٣٣ ـ القزويني، محمد القاضي سعد الدين: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه الأديب المرحوم عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لا. تا.

١٣٤ ـ الإمام القشيري، عبد الكريم: نحو القلوب الصغير، قدّم له وحققه وعلق عليه د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

١٣٥ ـ القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، لا. تا.

١٣٦ ـ القيرواني، الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٣٧ ـ ابن قيس الرقيات، عبد الله: الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لا. تا.

حرف الكاف

١٣٨ ـ كاباس، جان لُوِي: النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، ترجمة د. فهد عكّام، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٣٩ ـ الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لا. تا.

١٤٠ ـ كون، إ. س: الجنس والثقافة، ترجمة د. منير شحود، دار الحوار، اللاذقية ـ سورية، ط١، ١٩٩٢م.

حرف اللام

١٤١ ـ اللبدي، محمد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت وعمان، ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٢ ـ ليلى الأخيلية: الديوان، شرح د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

حرف الميم

١٤٣ ـ ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقّم كتبه... محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. تا.

١٤٤ ـ ابن مالك: الألفية، ضبط النص على شروح الألفية خالد الرشيد، دار الرشيد، لا. ب، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٤٥ ـ الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

١٤٦ ـ المبرد، محمد بن يزيد: الكامل، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٧ ـ المبرد، محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لا. تا.

١٤٨ ـ المتنبي: الديوان بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٨م.

١٤٩ ـ مجنون ليلى، قيس بن الملوح: الديوان، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق يُسري عبد الغني، دارالكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠.

١٥٠ ـ المرزباني، محمد بن عمران: الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، الفجالة، ١٩٦٥م.

١٥١ ـ المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، أشرف على طبعه عبد السلام محمد هارون، المكتبة العلمية، طهران، لا. تا.

١٥٢ ـ المفضل الضبي: المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٩م.

١٥٣ ـ المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

١٥٤ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٥٥ ـ الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، حققه وفصله... محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السُنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

حرف النون

١٥٦ ـ ابن نباته المصري، جمال الدين محمد بن شمس الدين: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥٧ ـ ابن النحاس، أحمد بن محمد: إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٨ ـ أبو نواس، الحسن بن هانىء: الديوان، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥٩ ـ ابن هشام، عبد الله بن يوسف: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٦٠ ـ ابن هشام، عبد الله بن يوسف: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ١٠، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

١٦١ ـ ابن هشام، عبد الله بن يوسف: قطر الندى وبلّ الصدى، شرح وتعليق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

١٦٢ ـ ابن هشام، عبد الله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلق عليه مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٩٧٩م.

حرف الواو

١٦٣ ـ وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٦٤ ـ الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق: الموشى أو الظرف والظرفاء، دار صادر، بيروت، لا. تا.

حرف الياء

١٦٥ ـ اليازجي، الشيخ إبراهيم: مجلة الطبيب، بيروت، السنة الأولى، ج ١، آذار، ١٨٨٤م.

١٦٦ ـ يعقوب، د. إميل: فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م.

١٦٧ ـ ابن يعيش، يعيش بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، لا. تا.

فهرس المراجع الأجنبية

- B -

1 - Branconnier, Allain: Le sexe de emotions, edition odile, Jacob, Paris, 1996.

- C -

2 - Chauchard, Paul: Le Langage et la Pensée, Press universitaire de France, 1 édition, 1979.

- F -

3 - Foucault, Michel: Les mots et les choses, N R F, Éditions Gallimard, Paris, 1966.

- G -

4 - Germain, Claude and le Blanc, Raymond: La Semantique, Les Presses de l'université de Montréal (Québec), Canada, 1982.

5 - Guiraud, Pierre: La Sémiologie, que sais - je, N° 1421, Presses universitaire de France, Paris, Troisième édition, 1977.

- K -

6 - Kolle, Oswalt: Grand Liver d'amour, edition de N. N. N. Neuilly - sur - seine, 1991.

- L -

7 - Leroy, Maurice: The main Trends in modern Linguistics English, Tranlation by G. Price, Oxford, 1967.

- M -

8 - Martinet, André: Eléments de Linguistique générale, Armand Colin, Paris, 1970.

- N -

9 - Neill, Sean and Caswell, chris: Body Language for competent teachers, London and New York, First Publisher, 1993.

- S -

10 - Saussure, Ferdinand de: Cours de Linquistique Générale, Publé rar charles Bally et Albert Sechehaye, Payot, Paris, 1967.

- V -

11 - Vendryes, J: Le Langage, Introduction Linguistique à L'histoire, Paris, 1921.

فهرس المحتويات

الإهداء ٥
المقدمة ٩
الفصل الأول: مبادىء الإعراب وأصول الحبّ ١٧
توطئة ١٧
من مسائل النحو وتناظرها مع مبادىء الحب ١٨
بعد سرد الوقائع الأدلة والثوابت ٣٤
وخلاصة القول ٣٩
الفصل الثاني: علامات إعراب الحب: حركات الإعراب تناظر خفقان القلوب ٤٣
مدخل ٤٣
علامات إعراب الحب ٤٥
علامات الإعراب ٤٥
علامات الحبّ انعكاس ضربات القلب ٤٧
بعد العيان الدليل والبرهان ٥٨
وجملة القول ٦٣
الفصل الثالث: الذَّكَرُ في قواعد اللغة العربية، نموذج: مسائل مختلفة ٦٩
توطئة ٦٩
الذكر يتقدم الأنثى ٧١
بعد الظواهر الأدلة والثوابت ٧٨
الخاتمة: أوضاع اجتماعية تملي أحكام اللغة ٨٠
الفصل الرابع: الأنثى في قواعد اللغة العربية، نموذج: جمع الأسماء العجمية في اللهجة الشعبية ٨١
مطلع ٨١
اللغويون وشيوع المسميات العجمية ٨٢

علة السلوك اللغوي ٨٥
أصداء الحكم اللغوي وانعكاساته ٨٧
خرجه ٩١
الفصل الخامس: الزواج اللغوي ٩٣
مدخل ٩٣
اللغة كائن حي يتكاثر بالتزاوج ٩٤
من وصف الظواهر إلى الأدلة والثوابت ١٠٥
سمات لغة الجنسين: الذكر والأنثى ١١٠
مصطلحات اللغة أوعية الجنس ١١٩
الخاتمة ١٢٤
فهرس المصادر والمراجع ١٢٧
فهرس المراجع الأجنبية ١٤١